الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة-

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: تاريخ

تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي

الانتقال الفاطمي من المغرب إلى المشرق
أسبابه ومراحله ونتائجه

مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

إعداد الطالب:

- جعيجع البشير

تحت إشراف:

- أ.د. عيساوة محمد

لجنـــــــة المناقشـــــــة

الأستاذ	الصفحة	الرتبة	الجامعة

السنة الجامعية: 2022/2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال الله تعالى:

« لَئِن شكرتم لأزيدنكم »

(سورة إبراهيم الآية 07)

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الذي وفقنا لإتمام هذا البحث المتواضع

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الفاضل « عيساوة محمد » الذي كان له بعد المولى عز وجل الفضل الكبير فيما بذله من مجهودات قصد إعطاء الموضوع الصبغة العلمية، فله منا كل التقدير والعرفان.

كما نشكر لجنة المناقشة التي قبلت بداية هذا الموضوع، وتحملت تبعاته من قراءة وتصويب.

كما لا ننسى كل من ساعدنا من أساتذة سواء داخل الحرم الجامعي أو خارجه

الإهداء

الحمد لله الذي وفقنا ولم نكن لنصل لولا فضل الله علينا، أما بعد:

نهدي عملنا هذا إلى الشمعة التي أنارت دروبنا، إلى الصدر الحنون والقلب الرقيق إلى ما اعز ما نملك في الدنيا وقدوتنا في الحياة الحبيبة الطاهرة الوفية, والملاك الصافي القريب لله سبحانه وتعالى، أمنا .

إلى زملائنا وأصدقائنا الطلبة الذين سعوا جاهدين إلى توجيهنا ومساعدتينا والوقوف إلى جانبنا بكل ما أوتي لهم ولم يبخلوا علينا بشيء .

إلى إخوتنا وأخواتنا لتحملهم وصبرهم علينا، إلى كل من ساعدونا على إتمام هذه المذكرة ، والى كل من ذكرتهم قلوبنا ونستهم أقلامنا .

وفي الأخير نرجو من الله إذا ما أعطانا نجاحا فلا يأخذ تواضعنا وإذا أعطانا تواضعا فلا يأخذ اعتزازا بكرامتنا

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

- الانتقال الفاطمي من المغرب إلى المشرق أسبابه ومراحله ونتائجه

إعداد الطلبة:

1- جعيجع البشير رقم التسجيل: 044102069

2- رقم التسجيل:

القسم: التاريخ **الشعبة:** التخصص مغرب إسلامي

إشراف: د. عبيدة محمد **الرتبة:** أستاذ محاضر "ب"

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2021-2022 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

د/ بوقرة نبيلة عبد المالك

لتحميل الوثيقة يرجى نسخ الرمز

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2022

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): جعيجع البشير

الصفة(طالب، ~~استاذ باحث~~، ~~باحث دائم~~):

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 923374

الصادرة بتاريخ : 23 أوت 2010 عن دائرة : حمام الضلعة

المسجل بكلية: العلوم الإنسانية و قسم: التاريخ

تخصص: مغرب إسلامي تحت رقم التسجيل: 044102069

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(~~مذكرة التخرج~~، ~~مذكرة ماستر~~، ~~مذكرة ماجستير~~، ~~اطروحة دكتوراه~~) .

عنوانها: الإنتقال الفاطمي من المغرب إلى المشرق أسبابه ومراحله ونتائجه

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في:

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

قائمة المختصرات:

الرمز	معناه
تح	تحقيق
تر	ترجمة
د.ت	دون تاريخ
د.ط	دون طبعة
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
مج	مجلد
ج	جزء
هـ	التاريخ الهجري
م	التاريخ الميلادي
ت	توفي
د.م	دون مكان
ق	قرن

مقدمة

مقدمة:

أخذ أئمة الإسماعيلية منذ منتصف القرن الثاني الهجري، يوجهون جهودهم إلى نشر دعوتهم في كثير من أرجاء العالم الإسلامي، وقد لقيت الدعوة نجاحا كبيرا في بلاد المغرب كان من ثمارها خضوع كثير من مدن شمال إفريقيا لدعاتهم ثم قيام الخلافة الفاطمية بتلك البلاد في أواخر القرن الثالث الهجري، ولم يكن سلطان الفاطميين موطدا في بلاد المغرب في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، ولذلك اتجهت جهود حلفائهم إلى العمل على ضبط الأمور في تلك البلاد، وخاصة في المغرب الأقصى على أن ما بذلوه من جهد في هذا السبيل لم يُنه الاضطراب الذي ساد المغرب، فسرعان ما قامت فيه بعض الثورات مما ترتب عليه ضعف النفوذ الفاطمي في بلاد المغرب.

أدرك الفاطميون بعد استقرارهم في شمالي إفريقية، وتأسيس دولتهم في ربوعها، غير أن المنطقة لم تؤمن لهم الهدف وتحقق أحلامهم فقد كانت أنظارهم متجهة دائما نحو المشرق للقضاء على الخلافة العباسية، ووراثة العالم الإسلامي الشرقي.

ولجأوا، في سبيل ذلك إلى الدعاية ثم العمل العسكري وقد حقق المعز أعظم انجازاتهم على الإطلاق حين استولى على مصر في عام «358هـ/969م». إذ بفضل هذا الانجاز تبوؤا مكانا بارزا في التاريخ، وأنشأوا عاصمة جديدة هي القاهرة، تعبر عن اتجاهاتهم الفكرية والسياسية. وضلوا لمدة غير قصيرة، خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، أكبر قوة في العالم الإسلامي. إذ بلغت دولتهم أقصى اتساعها في عهد المستنصر، وضمت مصر والشام وشمال إفريقيا وصقلية والشاطئ الإفريقي للبحر الأحمر، والحجاز واليمن وعمان والبحرين، وإن كان هذا الفضل في الاتساع يعود إلى نشاط الدعاة، ولم يكن للقوة المسلحة غير دور ضئيل فيه.

وانطلاقا من هذا التمهيد أردنا اماطة اللثام عن هذا الجانب واخترنا لذلك العنوان التالي:

الانتقال الفاطمي من المغرب إلى المشرق، أسبابه ومراحله ونتائجه، سعيا منا في إبراز الأسباب التي جعلت الفاطميون ينتقلون من المغرب إلى المشرق، وكيف مر هذا الانتقال، وما هي نتائجه.

وقد جاء اختيارنا لهذا الموضوع للأسباب التالية:

- رغبة منا في الكتابة عن هذا الجانب من أجل التعرف على الحركة الشيعية، ومنهم مؤطروها والعوامل التي ساعدت على تغلغلها في بلاد المغرب.
- التعرف على المذهب الفاطمي واهم عقائده.
- الأسس التي قامت عليها الدولة الفاطمية في بلاد المغرب.
- ما هي أهداف الفاطميين في المشرق.
- أهم منجزات الدولة الفاطمية في المشرق.

وفيما يخص الإشكالية العامة للبحث فقد رأينا ان تكون على النحو التالي:

- **ما هي العوامل التي ساعدت على قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب وما الأسباب التي أدت إلى انتقالها للمشرق، وما هي منجزاتها؟.**

وقد تفرعت عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- كيف استطاع الدعاة استمالة العامة من المجتمع المغربي؟.
- من الذي ساعدهم على ذلك؟.
- ما هو نظام الحكم الذي كان سائد في المغرب أثناء حكم الفاطميين؟.
- كيف كان موقف العباسيين من الخلافة الفاطمية في المشرق؟.

وقد استهللنا بحثنا بمقدمة استعرضنا فيها أهمية الموضوع ودواعي اختيارنا له، وكذلك أهم إشكالاته، والمنهج المتبع في الدراسة، وتطرقنا أيضا فيها للحديث فيها عن خطة البحث وأهم المصادر والمراجع المعتمدة في ذلك، وقسمنا بحثنا إلى أربع فصول وخاتمة.

أما بخصوص الفصل التمهيدي فقد جاء بعنوان: لمحة تاريخية عن الدولة الفاطمية، وقد قسمنا هذا الفصل إلى خمسة مباحث: فالمبحث الأول كان تحت عنوان: نشأة الدعوة الإسماعيلية، وانتشارها وقيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، أما المبحث الثاني فقد كان بعنوان: نسبها ومذهبها ونضام حكمها، وفيه تطرقنا إلى نسب الفاطميين ومذهبهم السائد إضافة إلى نظام الجيش والقضاء.

أما المبحث الثالث: طبقات المجتمع في العهد الفاطمي، وقد تناولنا فيه طبقة الخلفاء ورجال الدولة وطبقة الجند وطبقة التجار وطبقة العامة، أما المبحث الرابع فقد جاء بعنوان: المؤسسات الثقافية في المغرب في العهد الفاطمي، وتناولنا فيه المساجد والكتاتيب والمكتبات، فيما جاء المبحث الخامس تحت عنوان: اقتصاد الدولة الفاطمية في بلاد المغرب وتناولنا فيه الزراعة والصناعة والتجارة.

وأما الفصل الأول فقد استعرضنا فيه أسباب انتقال الفاطميين من المغرب إلى المشرق، وقد قسمناه إلى مبحثين أساسيين: المبحث الأول، أسباب داخلية، وتناولنا فيه المقاومة السنية وتناولنا فيها الصراع المالكية ضد دعاة الشيعة وثورات الخوارج والبربر ومن هذه الثورات ثورة أبي زيد مخلد بن كداد الاباضي (توفي 322هـ/943م) والتي شملت فتح بلاد الزاب (331هـ/944م) والاستيلاء على الأقاليم البحرية الشمالية في باجة تونس ودخول القيروان وتحالفه مع أشياخ المالكية والهجوم على منطقة الساحل وحصار المهدية، إضافة إلى ميسرة المصغري وثورة عبد الله ابن مسعود التيجيبي (126هـ/744م)، أما المبحث الثاني فتناولنا فيه

الأسباب الخارجية وتطرقنا فيه إلى أهمية الموقع الجغرافي في المشرق بالنسبة للفاطميين رغبة الفاطميين في القضاء على الخلافة العباسية.

أما الفصل الثاني فتناولنا فيه مراحل انتقال الفاطميين من المغرب إلى المشرق، وقسمناه إلى مبحثين: المبحث الأول وتناولنا فيه أوضاع المشرق قبيل استيلاء الفاطميين على مصر، والذي تطرقنا فيه إلى ضعف الدولة العباسية وأوضاع مصر الداخلية والخارجية، إضافة إلى تغلغل الدعوة الفاطمية في المجتمع المصري، أما المبحث الثاني فكان عنوانه: الحملات العسكرية على مصر، وقد تناولنا فيه حملة الجيش الفاطمي الأولى(301هـ-302هـ/913-914م)، وحملة الجيش الفاطمي الثانية والتي امتدت من (306-309هـ/919-921م)، إضافة إلى حملة الجيش الفاطمي الثالثة، والتي امتدت من (323هـ/943م)، وحملة الجيش الفاطمي الأخيرة، أما المبحث الثالث: فكان محتواه التوسع الفاطمي في بلاد الشام، والحملة الفاطمية على الرملة والحملة الأخيرة للفاطميين على دمشق.

أما الفصل الثالث: فقد تناولنا فيه نتائج الانتقال الفاطمي من المغرب إلى المشرق، والذي كانت نتائجه على المستوى السياسي والمستوى الاجتماعي والاقتصادي والديني والثقافي والعلمي.

ولأجل تغطية فصول الموضوع اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

1-المصادر:

- **الملل والنحل: للشهرستاني (ت548هـ/1153م)**، ويعتبر من المصادر الهامة التي أفادتنا في أخذ معلومات كثيرة حول الفرق خاصة الشيعة وتطورها وانقسامها المتواصل.
- **مقدمة ابن خلدون: لعبد الرحمان ابن خلدون (ت808هـ/1405م)**، وتكمن أهمية هذا المصدر في أنه أفادنا في التعريف بدعاة الشيعة إضافة إلى تناوله لبداية الفاطميين ونسبهم.

- **معجم البلدان: لياقوت الحموي** ، أفادني كثيرا في التعريف بالمناطق والأماكن والقرى وقرى افريقية ويعد من المصادر المهمة ويعتبر معجما جغرافيا وكتاب تاريخ وأدب أيضا وقد أفادنا بترجمة للعديد من المناطق والمدن التي تكون مجهولة للقارئ.
- **افتتاح الدعوة: للقاضي النعمان (توفي 363هـ/974م)**، واستفدنا من هذا الكتاب في نواحي عديدة من البحث فقد قدم لنا مادة خصبة ثرية عن الخلافة الفاطمية باعتباره أن الكاتب كان معاصرا لهم.
- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: للمقريزي تقي الدين (ت846هـ/1442م)**، وقد أفادني فيما يخص المنشأة الدينية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأعياد والمناسبات وغيرها.
- **الكامل في التاريخ: لابن الأثير (ت630هـ/1233م)**، ويعد من أشهر المصادر التاريخية والتي تناولت الأحداث التاريخية منذ بدأ الخليقة، وقد أورد أحداثة بطريقة التسلسل التاريخي للحوادث المتتابعة وقد أفادني بمعلومات في ما يخص تاريخ الفاطميين في مصر ونسبهم.
- **تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب: لحسن إبراهيم حسن (ت1968م)**، الذي يعد من المصادر المهمة، حيث فتح لي تفاصيل عن تاريخ الدولة الفاطمية وتطرق إلى سياسة الفاطميين مع الدول والأنظمة والقوى السياسية الأخرى.

2- المراجع بالعربية:

خلال إعدادنا لهذا البحث استعنا بالكثير من المراجع الحديثة التي لها علاقة بتاريخ الدولة الفاطمية وأبرز هذه الكتب هي:

- **الحياة العلمية في افريقية، ليوسف بن أحمد حوالة،** وقد مكننا هذا الكتاب من الاضطلاع على مختلف الجوانب الثقافية للخلافة الفاطمية.
- **الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي لمؤلفه الدكتور: عبد المنعم عبد الحميد سلطان (ت1918م)،** الذي قدم لنا تفاصيل مهمة عن الأوضاع الاجتماعية التي عاشها المغرب الإسلامي خلال العصر الفاطمي.
- **كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية لمؤلفه: موسى لقبال (ت2009م)،** والذي يعد مرجعا مهما من خلال الدور الذي لعبه الكتاميين في تهيئة الظروف المناسبة لتغلغل الدعوة الشيعية في المغرب والصفات التي امتاز بها الكتاميون، إضافة إلى سيطرت على دواليب الحكم للدولة الفاطمية في المغرب ومعرفة النظام الاجتماعي.

4- الرسائل الجامعية:

- **الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية: رفيق بولاس**

وقد أفادتنا في معرفة الحياة الاجتماعية التي كان يعيشها سكان المغرب خلال الحكم الفاطمي.

- **الحياة الفكرية والثقافية في المغرب في العصر الفاطمي (296-362هـ):** نشيدة رافعي، وقد استفدنا منها على التعرف على الحياة الفكرية والثقافية في المغرب في العصر الفاطمي.
- **الحركة العلمية في مصر خلال العصر الفاطمي: خليل صفاء وسواحلية لطيفة،** وقد استفدنا منها على التعرف على الحركة العلمية التي انتشرت في مصر خلال العصر الفاطمي.

5- القواميس والموسوعات:

- الفهرست لابن النديم، استفدت منها لمعرفة الأماكن والمدن والأعلام.

- قاموس رد العامي إلى الفصيح: لأحمد رضا، وقد استفدت فيه في معرفة بعض الألفاظ المستخدمة في اللغة من الناحية التاريخية.
- القاموس المحيط: للفيروزي الأبادي، وقد استفدت فيه في التعريف ببعض الكلمات من خلال شرحها.

وعن الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث أذكر منها:

- صعوبة الحصول على المخطوطات المتعلقة بالفترة المدروسة، حتى وان وجدت يصعب قراءتها وفهمها.
- تشابه المعلومات في أغلب المراجع.
- وجود اختلاف بين المصادر والتأويلات التي يستعملها جل المؤرخين التي تغلب عليها الانتماء الديني والقبلي أو بهدف تحقيق مصلحة معين

الفصل التمهيدي: لمحة تاريخية عن الدولة الفاطمية.

المبحث الأول: نشأة الدعوة الإسماعيلية وانتشارها وقيام الدولة الفاطمية في المغرب.

المبحث الثاني: نسبها ومذهبها ونضام حكمها.

المبحث الثالث: طبقات المجتمع في العهد الفاطمي.

المبحث الرابع: المؤسسات الثقافية في المغرب في العهد الفاطمي.

المبحث الخامس: اقتصاد الدولة الفاطمية ببلاد المغرب.

الفصل التمهيدي: لمحة تاريخية عن الدولة الفاطمية.

من المعروف تاريخيا أن قيام الدولة الفاطمية كان منشأها في بلاد المغرب سنة (297هـ-909م)، بناءاً على حركة مذهبية نشطة تمثلت في نشر الإسماعيلية في مختلف أقطار العالم الإسلامي بالتعريف بقضية آل البيت، بدأ عهدها بمبايعة عبيد الله المهدي ومباركة قبيلة كتامة له، والتي ساهمت في قيام هذه الدولة.

واتسع مجالها الجغرافي حتى حدود الأندلس، فكانت سياستها ترتكز على تثبيت دعائم المذهب الشيعي ومحاولة القضاء على المذهب المالكي فاستعملت مبدأ القوى، وأعطت أهمية كبرى للجيش باعتباره الحامي لها، واستمرت في بناء أسس هذه الدولة[1].

المبحث الأول: نشأة الدعوة الإسماعيلية وانتشارها وقيام الدولة الفاطمية في المغرب.

أولا: نشأة الدعوة الإسماعيلية:

الدعوة الإسماعيلية فرقة من الفرق الكبرى التي انتسبت إلى التشيع وانتشرت بدعوة، مثلها مثل بقية الفرق الشيعية، التي تطورت عبر تاريخها، ويرى أصحابها صحة دعوتهم بإيصال نسبهم إلى فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) وتعتبر الفترة المبكرة من تاريخ الدعوة الإسماعيلية، فهي الجانب الأكثر غموضا في تاريخ الحركة، وتمتد هذه المرحلة من بدايات الحركة الإسماعيلية في منتصف القرن الثاني، حتى إعلان الدولة الفاطمية (297 هـ/ 908 م) وتعود أصول الشيعة الإمامية بفرعيها:

الإسماعيلية والاثنى عشرية، في الخلاف الذي نشب بين الشيعة على إثر وفاة الإمام جعفر الصادق (149 هـ/ 765 م)، حول من يلي الإمامة من أولاده، فاختلفوا حولهم[2] وانقسموا

1- سليمان، بن عبد الله السلومي: أصول الإسماعيلية، ط1، دار الفضل، الرباط، 2001، ص 59.

2- الشهرستاني محمد عبد الكريم بن أحمد: الملل والنحل، تحقيق أمير على مهنة وعلي حسن فاعور، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1993، ج1، ص 17.

إلى عدة فرق منها: الموسوية[1]، والإسماعيلية على حد ذكر بعض المؤرخين[2]، والإسماعيلية هم الذين ساقوا الإمامة بعد جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل، و أوحى عليه باتفاق من أولاده وقد انقسمت إلى فرقتين:

1-فرقة منتظرة لإسماعيل الذي مات في حياة أبيه[3]، وقال أتباعها انه لم يمت إلا أن أباه أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس وعقد محضرا أشهد عليه عامل المنصور بالمدينة[4].

2-فرقة قالت بأن الإمام بعد جعفر حفيد محمد بن إسماعيل، وأقرت موت إسماعيل في حياة أبيه ،وترى بأن جعفر نصب إسماعيل الإمامة بعده، للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل[5]، لأن النص لا يرجع القهقري، والفائدة في النحو لقاء الإمامة في أولاده المنصوص عليه دون غيره[6]، هذا راجع إلى كونهم يعتبرون أقوال الإمام كنصوص الشرع تماما يجب إعمالها ولا يسرع إهمالها والبدء على الله.

---

1 –هي الفرقة التي أطلق عليها فيما بعد الإثنى عشرية، وقال أتباعها بإمامة موسى الكاظم، الابن الأصغر للإمام جعفر الصادق، نصا منه عليه ثم لابنه على الرضا، ثم لابنه محمد الجواد، ثم لابنه علي الهادي، ثم لابنه الحسين العسكري قم محمد القائم، أنظر: الشهرستاني محمد عبد الكريم بن أحمد: المصدر السابق، ج1، ص 17.

2 –وفق رواية الشهرستاني, المصدر السابق, ص 17, فإن: أولاد جعفر الصادق هم: محمد وإسماعيل وعبد الله وموسى وعلى، وقد قال المعمارية بإمامة ابنه محمد.

3 – البغدادي عبد القاهر: الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص 62،63.

4 –الشهرستاني: المصدر السابق، ص 127.

5 –البغدادي: المصدر السابق، ص 63.

6 ––الشهرستاني: المصدر السابق، ص 127،128، وهو معنى قول الله عز وجل « وجعلها كلمة باقية في عقبيه » فلا ينتقل النص من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين، عماد الدين إدريس، عيون الأخبار وفنون الآثار السبع الرابع، تحقيق مصطفى غالب، ط1، دار الأندلس، بيروت، 1984، ج2، ص 335.

ثانيا: قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب:

مع نهاية القرن الثالث هجري وصل نشاط الشيعة الإسماعيلية[1]، إلى أوجه فوضعوا عقائدهم لخدمة أغراضهم السياسية وعهدوا إلى دعائهم على العمل بهذه المهمة الخطيرة وكان الدعاة على قدر كبير من الاجتهاد والإخلاص ويبذلون جهدا كبيرا في سبيل إنجاح الدعوة التي كانت سرية جدا وكان عمال العباسيين يتبعون أثارهم[2].

فقد بين القاضي النعمان أن افريقية استقبلت الداعيين الشيعيين الأوليين أبو سفيان الحسن بن القاسم وعبد الله بن أحمد الحلواني[3]، سنة 145هـ/762م وقيل أن جعفر الصادق بأنه هو الذي أوفدهما إلى بلاد المغرب وأمرهما أن يتجاوزا إفريقية إلى حدود البربر ثم يتفرقان فينزل كل واحد منهم بناحية وقيل لهما « بالمغرب أرض بور فاذهبا واحرثاها حتى يجيء صاحب البذر فيجداها مذللة فيبذر حبا فيها[4]» . وقد نفذ الداعيان التعليمات بأمانة و صدق فعند وصولهما إلى مرجانة[5].

وقد نزل كل واحد منهما في منطقة تبعد عن الأخرى، فنزل أبو سفيان في تالا [6].

وهناك بنى مسجدا وتزوج امرأة، واشترى عبدا وأمة كرس أبو سفيان وقته للدعوة من خلال التعليم والتعريف بدعوته إلى ان ذاع صيته واستجاب له عدد كبير من النّاس حتى

1–الشيعة الإسماعيلية: الإسماعيلية هي فرقة شعبية أثبتت الإمامة لإسماعيل بن جعفر، وهو إبنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الامر، ينظر: الشهرستاني، أبا الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد: المصدر السابق، ج1، ص 146.

2–طارق، بن زاوي: استغلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية (406هـ–454هـ/1016 م–1062م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الوسيط إشراف رافعي نشيدة، جامعة الجزائر، الجزائ، 2008م/2009م، ص 17.

3 –أبو سفيان: لا يعرف عنه شيئا سوى ان أباه او جده اسمه بكار، أما الحلواني فمنسوب إلى حلوان وهي مدينة من أخر سواد العراق، ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة إبن خلدون، دط، دار الفكر،لبنان،2001م، د ط، ج7، ص 65.

4 –القاضي، ابن خليفة النعمان: بن محمد التميمي، المغربي: افتتاح الدعوة، مؤسسة الاغلمي للمطبوعات، لبنان، 2005م ، ص 23.

5 –مرماجنة: قرية افريقية بهوارة، وهي من البربر بينهما وبين الأريس مرحلة، ينظر: ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1979، ص 109.

6 –تالا: مدينة في الشمال الغربي من تونس، قريبة من مدينة الكاف، ينظر: ابن حوقل أبي القاسم النصيبي: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، لبنان،1996 ،ص 24.

أصبحت مرماجنة بسبب نشاطه « دار الشيعة » وأصبحت الأريس[1]، ونفطة[2]، مراكز تجمع بين سكانها أعداد كبيرة من المتشيعين[3].

أما الحلواني فقد نزل هو الآخر بمكان يقال له الناظور[4]، ببلد سوف جمار وقيل سوجمار[5]، وهناك بنى مسجدا وتزوج امرأة واشترى عبدا وأمة وأظهر من العبادة والنسك ما اشتهر به بين الناس واشتغل بتعليم المذهب والدعوة إليه فتوغل في أرض البربر حتى أصبح على مقربة من أرض كتامة[6]، فشاعت الدعوة هناك وأصبحت مقصد سكان تلك النواحي من قبائل كتامة ونفزاوة[7]، وسماتة[8]، وتشبع على يديه عدد منهم، يقول القاضي النعمان «... و وقد تشبع كثير منهم على يديه من كتامة و نفزة و سماتة .. ».

1 –الأريس: مدينة في وطاء، من الأرض بافريقية على بعد ثلاث مراحل من القيروان، بها أسوار عالية وعيون جارية، وأكثر غلتها الزعفران وبها معدن الحديد، ينظر: الإدريسي، الشريف: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، ليدن،1860م، ص 118.

2 –نفطة: مدينة بافريقية من أعمال الزاب الكبير، وأهلها شراة اباضية وبينها وبين قفصة مرحلتان.

3 –القاضي، النعمان: المصدر السابق، ص24، ينظر أيضا: لقبال، موسى: ددور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979 م، ص 217.

4 –الناظور: حصن في جبال بجاية المنيعة، ينظر: إبن خلدون: المصدر السابق، ج6،ص 170.

5 –ذكرها ابن خلدون، ينظر: المصدر السابق، ج4،ص 31.

6 –كتامة: قبيلة بربرية من ولد كتاقة بن افريقش بن صيفي بن سبا الأصفر، ينظر: المقريزي تقى الدين أحمد بن علي: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، تح: خليل المنحور،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ،1418ه، ج1، ص 55.

7 –نفزاوة: مدينة من أعمال افريقية بينها وبين القيروان 6 ستة أيام، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج6، ص 296.

8 –سماتة: هي قبيلة بربرية في جنوب افريقية ،ينظر: المصدر السابق، ج6، ص 290.

المبحث الثاني: نسبها ومذهبها ونضام حكمها.

أولا: نسبها:

ثمة قضية نراها جديرة بالبحث من وجهة نظرنا ترتبط بالفاطميين وظهور مشكلة النسب الفاطمي بين مؤيدين ومعارضين واختلفت الآراء حولها وانقسموا إلى رأيين:

الرأي الأول يدافع عن النسب الفاطمي ويؤمن بصحة نسب الخلفاء إلى البيت ومنهم ابن حماد الصنهاجي[1]، وابن خلدون الذي اعتبر التشكيك في نسبهم بعض مظاهر «التوهم» في التاريخ حيث يقول: «...وهو عبيد الله بن محمد بن الحسين بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن جعفر الصادق [2] ». ولا عبرة من أنكر هذا النسب يعتمدون في ذلك على أحاديث مكذوبة روج لها خلفاء بني العباس، إضافة ابن الأثير الذي أورد رواية في صحة النسب الفاطمي فيقول: « هو محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب [3]», واستدل بن الأثير في ذلك من خلال تلك الأبيات المنسوبة للشريف القاضي والتي يرى فيها إثبات للنسب الفاطمي ومن المدافعين أيضا عن النسب الفاطمي المقريزي بل صنف كتابا للفاطميين تعرض فيه لموضوع النسب وذكر كل كلام شيخه ابن خلدون حيث أورد « أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق و عقبه لبيان نسب المهدي الإسماعيلي وأسماء أبانه إلى محمد بن إسماعيل وانتهى هذا النسب ...[4]»

1- الصنهاجي، ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد سيرتهم، تحقيق تهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ص 23.

2 -ابن الأثير ،عز الدين أبي الحسن علي بن محمد (ت 630هـ): الكامل في التاريخ ، تحقيق: أبو صهيب الكريمي، بيت الأفكار الدولية، عمان، ص 1116.

3 -المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الخطط المقريزية، الهيئة العامة للقصور الثقافة، القاهرة، ج2،ص349.

4 - ابن خلدون، عبد الرحمن، بن محمد: ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحاتة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت 1431هـ-201م ،ج4،ص 40.

ومن معارضي وناكري النسب الفاطمي القاضي عبد الجبار الهمذاني، حيث يرجع أصل المهدي إلى اليهود، واسمه سعيد وأبوه يهودي حداد من أهل سليمة توفي عنه وهو صغير، ثم تزوج الحسين بن أحمد بن محمد بن عبيد الله بن ميمون القداح المجوسي بأمه وتولى تربيته وتعليمه فعرف حال الدعوة[1].

أما ابن حزم فيرى « أن المهدي ادعى أنه من ولد جعفر بن إسماعيل ثم ادعى مرة أخرى أنه من ولد الحسين بن محمد بن إسماعيل » ووصف هذه الدعوة بالفضيحة لأن محمد بن إسماعيل بن جعفر لم يكن له ولد يسمى الحسين[2]، وهذا من الكذب، أما أبو المظفر الاسفرائيني أخذ بقول عبد القاهر البغدادي ويرى بأن نسب عبيد الله المهدي لا يتصل من قريب ولا من بعيد بالبيت العلوي الفاطمي الشريف بل ادعاه بهتانا وزورا إذ يقول « ثم خرج سعيد بن الحسين بن عبد الله بن ميمون بن ديمان القداح إلى المغرب وغير اسمه ونسبه[3] » كما ذكر المؤرخ الكبير أبي شامة أن المهيدي يصل نسبة إلى القداح الملحد المجوسي أو والده يهودي ويعلل أبي شامة انتشار دعوى النسب الفاطمي بنشاط دعاة الإسماعيلية[4].

ثانيا: مذهبها:

تبنت الدولة الفاطمية « العبيدية » في بلاد المغرب المذهب الشيعي الإسماعيلي، والإسماعيلية من الفرق الشيعية، وقيل أنها تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق

1 – القاضي الهمذاني، عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، تح: عبد الكريم ثمان، دار العربية للنشر والطباعة،بيروت، ج2، ص 597.

2 –ابن حزم، الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص61.

3–الاستقرائيني، أبو المظفر طاهر بن محمد: التبصير في الدين و تمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تح: كمال يوسف الحوت، ط1، دار عالم الكتب، بيروت، 14.3هـ–1938، ص 141.

4 –أبي شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1422هـ، 2002م ،ج2،ص140.

(147هـ/765م)[1]، وقد انبعثت عن الإسماعيلية فرق مختلفة اختلفت حول المبادئ وبعض العقائد، وأهم هذه الفرق هي:

1-الإسماعيلية الخالصة:

يزعم هولا أن الإمام بعد جعفر الصادق هو ابنه إسماعيل، وأنكروا موته في حياة أبيه وقالوا إنما أظهر موته خفية وتقية، كما زعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض لأنه هو القائم بأمر الله فهو الغمام الذي لا ينطق إلا بالحق[2].

2-الإسماعيلية الواقفة:

ويزعم هولا أو هذه المجموعة أن الإمام بعد جعفر الصادق هو إسماعيل وقد نص عليه باتفاق من أولاده لأنهم اختلفوا في موته في حياة أبيه فمنهم من قال لم يمت وقد أظهر موته خفية من خلفاء بني العباس، ومنهم من قال بموته وأن الإمام بعده ابنه محمد[3].

3-الإسماعيلية المباركية:

يعتقد هؤلاء أن الإمام هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وقالوا أن الإمامة كانت لإسماعيل في حياة أبيه ولما توفي قبل أبيه عهد بها جعفر إلى حفيده محمد بن إسماعيل بن جعفر[4].

1- هو ولد الإمام جعفر الصادق (80هـ-699م/143هـ-760م) ، نشأ في المدينة وتعلم العلوم الإسلامية وكان من أبرز رجالات عصره، واعتبره الشيعة إمامهم بعد أبيه، ينظر: بن حزم الأندلسي، أبي محمد بن أحمد بن سعيد، المصدر السابق، ص 55.

2 - النوبختي، حسن بن موسى وسعد بن عبد الله القمي: فرق الشيعة ، تح: عبد المنعم الحنفي, ط1، دار الرشاد ،مصر،1992، ص 8.

3 -الشهرستاني: المصدر السابق،ج1،ص168، و ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج4 , ص 39.

4 -النوبختي وآخرون: المصدر السابق، ص 70، وينظر الشهرستاني: المصدر السابق، ج1،ص 196.

4-القرامطة :

زعم هؤلاء أن النبي صلى الله عليه وسلم انقطعت عنه الرسالة في حياته، نصب علي رضي الله عنه إماما على الناس في « غدير خم » فصارت الرسالة منذ ذلك اليوم إليهم[1].

5-السبعية:

وسموه بهذا الاسم لأنهم توقفوا عند الإمام السابع وهو عندهم إسماعيل بن جعفر الصادق أو ابنه محمد على اعتبار أن إسماعيل توفي في حياة أبيه، كما حضي الرقم «سبعة» عندهم بنوع من التقديس فالأئمة عندهم سبعة [2].

6-الدروز:

ظهرت هذه الفرقة على يد حمزة الدرزي(ت 430م) و« أن لا إله إلا هو الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله »، إلا أن الدروز المعاصرين ينفون هذه المقولة ولا يؤمنون بها[3].

ومن العقائد التي قامت عليها الإسماعيلية:

1-التوحيد:

يرون حسب اعتقادهم أن الله لا يوصف بوصف ولا يسمى باسم، والتوحيد عندهم هو تجريد الله عن جميع الأسماء والصفات، وقالوا بألوهية الإمام وحلول الله فيه بمعنى حلول الله سبحانه وتعالى في الأئمة[4].

02-النبوة والإمامة:

1 -العياشي، سامي، الإسماعيلية في المرحلة القرمطية، دار ابن خلدون، سوريا، 1991، ص11.

2 -ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص39.

3 -صلاح، أبو السعود: الشيعة النشاة السياسية والعقيدة الدينية، مكتبة النافذة، مصر، 2004م، ص 202.

4 -ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص282، وينظر: جعفر، ابن منصور اليمن: كتاب الكشف، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس، لبنان ،1984م، ص 57، ينظر: السجستاني، أبو يعقوب، إسحاق: إثبات النبؤات، تح: عارف تامر ،ط2، دار الشرق، لبنان، 1984، ص 439.

يرى هؤلاء أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الناطق بأمر الله، وهو في أعلى المراتب وأن علي رضي الله عنه هو وصيته خليفته في نشر بقية الشرائع، وأن أحقية الخلافة نص عليها الرسول[1].

03-البحث والجزاء :

يعتقد هؤلاء أنهم يبعثون في النفخة الثانية ليحاسبوا على أعمالهم، فإما الجنة ويعممهم علي « رضي الله عنه » بكلمات يلقنها إياه الرسول صلى الله عليه وسلم فتنشق القبور ويخرج الناس، ويظهر جبريل عليه السلام على فرس أبلق[2].

ثالثا: نضام حكمها:

قامت هذه الدولة الشيعية على قواعد متينة وأسس قوية لذلك كانت أعظم وأجل رتبة بها هي وظيفة داعي الدعاة ويرون في الخليفة ويعتقدون فيه العصمة، ولم يكن لهذه الدولة في أول أمرها بالمغرب وزراء إلى بعد انتقالها إلى مصر[3], فهم لا يستعملون المصطلح المعروف « الخلافة » وإنما يؤثرون استعمال لفظ الإمامة باعتبارها النظام الرئيسي بين نظم الحكم في الدولة الإسلامية الشيعية [4].

والخلافة أو الإمامة الفاطمية[5]، خلافة دينية وراثية تقوم على أساس المذهب الشيعي الإسماعيلي وتستند إلى أساسين:

الأول هو العلم الرباني أو الإلهي الموروث عن النبي «صل الله عليه وسلم» عن طريق علي ابن أبي طالب ثم أولاده من بعده إلى الفاطميين، فالإمام عند الفاطميين ليس شخصا عاديا بل هو فوق الناس جميعا، فهو المشرع وهو المنقذ ولا يسأل عما يفعل وهو معصوم عن الخطأ نتيجة لما ورثه من علوم دينية عن النبي.

1 -الشهرستاني: المصدر السابق، ج1،ص 192.

2 - السجستاني: المصدر السابق، ص39.

3 -عبد الرحمن، الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965نص 283.

4 -جمال الدين، سرور: مجموعة وثائق الفاطمية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 202،ص 22.

5 -أحمد، مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، ص53.

أما الثاني فهو مسألة الوصية أو النص على ولاية العهد أي خلافة رافضة أنها ترفض إمامة أبي بكر[1].

الدولة العبيدية مستقلة استقلالا تاما وحكومتها يصح أن تكون مطلقة لأن المذهب الإسماعيلي يرى الإمام معصوما فيجمع له كل السلط تشريعية وتنفيذية وقضائية.

1-الجيش الفاطمي:

أعطى الفاطميون أهمية بالغة للجيش وذلك لما يحدق بهم من مخاطر خارجية لذلك عمل عبيد الله المهدي على تقوية فئات الجيش وتزويده بمختلف الأسلحة وكان أكثر جند عبيد الله المهدي من قبيلة كتامة وذلك لأن رجالها يمتازون بالشدة والبأس في القتال والشجاعة وكانوا يقاتلون على الخيل ويتكون الجيش من:

2-الرايات والبنود:

البند هو العلم الكبير أو اللواء هو غير الراية، فاللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه، أما الراية فهي ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح، فأما الرايات فإنها شعار الحروب من عهد الخليفة.

3-الإبل والخيل:

مجد الإسلام الخيل، وهي عماد طريقة الكر والفر في الحرب، وقد امتلك العرب أجود الخيول وبها يجولون في كرهم وفرهم، وكانوا إذا ساروا للحرب ركبوا الإبل وقادوا الخيل ليريحوها، فإذا اقترب العرب من عدوهم أو أرادوا الغارة نزلوا عن إبلهم وركبوا الخيل وقد كان الفاطميون يقاتلون في حدوبهم على الخيول والنجب معا وهي نوع من الجمال السريعة.

---

1 -مبارك، بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، ص 137.

5-البريد والمواصلات:

كانت تنظم أثناء الحروب بردة حربية شؤون الحروب هي بمثابة المخابرات اليوم، وكان معز الدولة هو الذي أحدث أمر السعادة وأعطاهم الجرايات الكثيرة، لأنه أراد أن يبلغ أخباره لأخيه ولكي يربط الفاطميون الاتصال بين وحدات أسطر لهم بعضها البعض وبينها وبينهم في المغرب فقد استخدموا الحمام الزاجل في هذا المبتغى حتى انتقلوا إلى مصر سنة 362 هـ[1].

6-القضاء:

يعتبر القضاء أحد أهم الأسس في نظام الحكم الفاطمي[2]، حيث أولاه الخلفاء الفاطميون أهمية كبرى فاختاروا قضاة من أتباعهم وحرصوا على تنظيمه وفق تعاليم المذهب الشيعي الإسماعيلي الذي كان له الحق في اختيار قضاة النواحي أو الولايات وتغيير مناصبهم أو عزلهم كما منحت له مهام النظر في أهم الوظائف العامة مثل الحسبة والضرب وبيت المال فيه المذهب الشيعي يتولى قاضي القضاة إلقاء الخطب في المناسبات بالمساجد الرئيسية[3].

1 -مبارك، بن محمد الميلي: المصدر السابق، ج2، ص 137.

2 -عبد الرحمن، الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياء ، بيروت، 1965، ج1، ص 122.

3 -عبد الحميد، حاجيات: كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، مطبعة الديوان، الجزائر، ص 283.

المبحث الثالث: طبقات المجتمع في العهد الفاطمي.

عرف مجتمع المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي كغيره من المجتمعات الأخرى اختلافا بين طبقاته الاجتماعية انطلاقا من الحاكم ووصولا إلى الرعية ومرورا بسائر فئاته وبناءا على ما تقدم نستهل حديثنا هذا بالطبقة الحاكمة على اعتبار أنها تصدرت قمة الهرم الاجتماعي.

أولا: طبقة الخلفاء ورجال الدولة.

على الرغم من قصر الفترة التي قضاها الخلفاء الفاطميون في بلاد المغرب الإسلامي وهي المرحلة التي امتدت من سقوط عاصمة الإمارة الأغلبية سنة « 297هـ/ 959م» حتى خروج المعز لدين الله رابع الخلفاء الفاطميين من إفريقيا متوجها إلى مصر سنة «362هـ/972م»[1].

اعتبرت الطبقة الحاكمة أي الأسرة الحاكمة في المجتمع الفاطمي بالمغرب تمثل أعلى هرم في المجتمع فهي التي كانت تحكم ولها السلطة المطلقة وتميزت بالثراء والنفوذ القوي، وكان على رأس هذه الطبقة « الأسرة » الخليفة الفاطمي الذي يستمد سلطته من الانتساب إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق ابنته فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب[2]، وعندها دخل عبيد الله المهدي بلاد المغرب بين الناس والخاصة من رجاله أنه الحاكم، وبدأ يأخذ الأموال التي كانت عند دعاته ورؤساء القبائل « المشايخ » واستولى عليها[3].

1- أبو الفداء، عماد الدين، إسماعيل بن علي بن محمود: المختصر في أخبار البشر، ط1، الناشر المطبعة الحسينية المصرية، ص74 .

2- ابن حلكان، شمس الدين، أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر ، بيروت ،1977، ج2،ص 152.

3 -ابن عذارى، أبو العباس بن أحمد بن محمد المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: تحقيق: كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة 1980م، ص 50.

ورد في بعض المصادر ما يدل على المبالغة في وصف الخليفة المهدي حتى شبهته بالشمس المضيئة أو المنيرة وجلس في مجلسه وقد أحاط نفسه بالحرس والخدم ومن حوله رجال دولته حسب مراتبهم ووظائفهم من دعاة وقضاة وعلماء وكان الخليفة إذا استوى في مجلسه أو كان في خلوته جعل حاجبا على أبواب مقصورته لمنع دخول أيا كان إلا بأمر منه[1]، ومن مظاهر الأبهة والعظمة كانت تقام مجالس الشعر والأدب التي كانت تقام في قصور الخلفاء لمدحهم وتعظيم سلطانهم لكسب أملا في الحصول على الأرزاق والهبات والهدايا[2]، وقد اتخذ الخلفاء الفاطميون السرير[3].

وقد كان الخلفاء الفاطميون مهتمين وحريصين كل الحرص على التزود بالعلم، وبث أفكارهم حول الدعوة لدعاتهم كالقاضي النعمان وداعي الدعاة وغيرهما من كبار رجال الدعوة ومفكريها، وكان الخلفاء ودعاتهم يعقدون مجالسهم في قصور الخلفاء، كما ازدهرت الحياة العلمية والأدبية والفنية ويعود الفضل في ذلك إلى الاهتمام والتشجيع من قبل الخلفاء للعلماء والفقهاء والأدباء وإغداقهم بالعطايا والمال الكثير والسعي لجلب الكتب في مختلف العلوم ومن كل مكان وبذل المال في سبيل ذلك ونقل عن المعز لدين الله الفاطمي أنه قال « والله ما تلذذت بشيء تلذذي بالعلم والحكمة[4]»

ومن مظاهر اهتمام الخلفاء الفاطميون بالعلم هو بنائهم دار الحكمة أو دار العلم والتي كان الهدف منها هو نشر المذهب الشيعي إلا أنها لم تقتصر على الدعوة بل كانت تدرس فيها مختلف العلوم الإسلامية والعربية كالقرآن والفقه واللغة ..الخ.

1 –الداعي إدريس، عماد الدين: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح: محمد اليعلاوي، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ج5، ص163.

2 –القاضي، النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ص66.

3 –عرفه ابن خلدن بقوله وأما السرير والمنير والنعت والكرسي فهي أعواد منصوبه أو أوائل منضدة الجلوس السلطان و لم يزل ذلك من سنن الملوك قبل الإسلام والعجم.

4 –القاضي، النعمان: المجالس والمسيرات، تحقيق: الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح، ومحمد اليعلاوي، الجامعة التونسية وكلية العلوم الإنسانية، تونس، 1978، ص61.

وقد امتازت دار الحكمة بالبناء الفاخر وفرشت وزخرفت وعلقت على جميع أبوابها وحجراها الستور، وأقيم قوام وخدام وفراشون وغيرهم وسموا بخدمتها كما زودت بمكتبة عظيمة ونقلت إليها بعض الكتب وسمح بالإطلاع عليها لكل من يرغب في ذلك وكان يتوافد إليها كل من القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء[1].

ثانيا: طبقة الجند:

اهتم الفاطميون منذ وقت مبكر على تكوين جيش قوي يكون قادرا على حماية حدود دولتهم من الأعداء المتربصين بها والدفاع عن مصالحهم في الداخل والخارج وهو أسلوب تنتهجه كل دولة تسعى إلى السيطرة والنفوذ بغض النظر عن وسائلها وأهدافها ولا شك أن نواة الجيش الفاطمي بدأت تشكل مع أفراد من قبيلة كتامة من الذين آمنوا بدعوة أبو عبد الله الشيعي فكانوا بمثابة العصبة حوله تحميه وتدافع عنه من خصومه[2]، ومع الوقت ازداد عددهم وبالتالي كانوا في ضرورة إلى من ينظم صفوفهم وقد أورد القاضي النعمان في هذا الشأن «اهتم أبو عبد الله بتنظيم مجتمعه الجديد، فقسم كتامة أسباعا، وجعل كل سبع منها عسكرا، وقدم عليه مقدما وحصص لكل موضوع داعيا، وسمى المقدمين والدعاة ..المشايخ[3] ».

وفي سنة (296هـ/958م) يقدر عدد الجيش بمائتي ألف جندي بين راجل وفارس ليرتقي هذا العدد عند دخوله إلى رقادة إلى نحو ثلاثمئتي ألف جندي[4].

وبمجرد اعتلاء عبيد الله المهدي الخلافة برقادة سيطر على هياكل الدولة ومارس الاستبداد والقهر مما كان له الأثر الواضح داخل عناصر بناء الدولة من الكناسين وخاصة أن العناصر الكتامية والتي بفضلها قامت الدولة الفاطمية وهي الجيش الذي حارب أعداء الفاطميون فتطورت الخلافات واتسعت بين المهدي وهؤلاء القادة « الكتامين » الذين أبانوا

1 –محمد، زغلول سلام: الأدب في العصر الفاطمي، الناشر، منشأة المعارف، ص 162.

2 –أبي عبد الله، بن علي بن حماد: أخبار ملوك بن عبيد وسيرتهم، دار الصحوة، القاهرة،ص24.

3 –القاضي، النعمان: المصدر السابق، ص 100.

4–القاضي، النعما ن: المصدر نفسه, ص118

نيتهم في قلب هذا النظام الجديد[1]، كان الخليفة الفاطمي يمثل السلطة العليا للدولة وهو أيضا القائد الأعلى للجيش، فهو الآمر والناهي في كل ما يخص الأمور الحربية، وكان يسهر على إعداد الجيش وتنظيم صفوفه بنفسه، كما عمل المهدي على تحسين ظروف طبقة الجند، فحدد لهم مرتبات مغرية تصرف من الدولة، ولهذا الغرض قام بإنشاء ديوانا خاصا بالجيش، وأطلق عليه اسم« ديوان العطاء » حيث كان يتولى أمر شؤونها[2].

تألف الجيش الفاطمي من عناصر مختلفة وقد اعتمدت السلطة الفاطمية على كل عنصر منها بحسب كل مرحلة من مراحل الخلافة بالموازاة مع الأهداف التي حددها خلفاء المرحلة المغربية نجد في مقدمة هذه العناصر.

1-العناصر الكتامية:

وكانوا النواة الأولى للجيش الفاطمي والمكون الأساسي في مرحلة قيام الدولة بإفريقية وممن ناصرو الدعوة الإسماعيلية ودافعوا عن مبادئها وبما عرفوا به من قوة وشدة وبأس ويعود نسبهم إلى قبيلة كتامة وهي من أشد قبائل البربر بالمغرب[3]، وكان لهم الدور البارز في إخمادهم لثورة أبي يزيد« صحاب الحمار»[4]، مما جعل الخليفة المنصور يشيد بهم بقوله:« يا أهل دعوتنا،يا أنصار دعوتنا،يا كتامة... اللهم إني أصبحت راضيا عن كتامة، لاعتصامهم بحبلك، و صبرهم على البأساء والضراء في جنبك تعبدا لنا، واعترافا بفضلنا، وإرادة لما افترضه الله على العباد لنا »[5].

2-العناصر الصنهاجية:

1- ابن الأيثر، علي بن محمد، الخزري: الكامل في التاريخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ-1978م، ج6، ص135.

2- القاضي، النعمان: المصدر نفسه، ص 304.

3- ابن خلدون، عبد الرحمن،: المصدر السابق، ج7، ص 7.

4 -هو مخلد بن كداد الزناتي اليفريني، أصله من قسيطلة، كان زعيم مذهب الحوارج النكاري، اعلن ثورته لقلب النظام الفاطمي، أنظر: ابن خلدون، العبر، ج7،ص 113.

5 -الجوذري، أبو علي منصور القريزي: سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق: محمد عبد الهادي شعيرة وكامل حسين، دار الفكر، القاهرة، 1954، ص59.

برز العنصر الصنهاجي ضمن عناصر الجند الفاطمي ويعود الفضل في توطيد رابطة قبيلة صنهاجة بالفاطميين يرجع إلى زعيمها زيري بن مناد ومواقفه العسكرية إلى جانب الخلافة الفاطمية في حربها ضد حركة أبي يزيد مما اتضح أن المصلحة مشتركة بين الطرفين كانت المحرك في إحداث هذا التقارب ودخل الصنهاجيين تحت لواء الفاطميين كي يسيطروا بهم على قبيلة زناتة عدوهم التقليدي[1].

وكان لهم الفضل في تقديم خدمات كثيرة للفاطميين في المجال العسكري منها تصديهم لأعدائهم.

3-العناصر الصقلبية:

شارك الصقابة في الجيش الفاطمي كجند مرتزقة، وقام عبيد الله بترتيب أفرادهم في الديوان الذي أنشأه وتولوا قيادة الجيوش البرية والأساطيل البحرية ومن أمثلة ذلك «تولى ميسور الخادم» قيادة الجيش الفاطمي خلال ثورة أبي يزيد وسمي هذا المنصب «صاحب الجيش الأعظم»[2].

4-العناصر الرومانية:

لعبت العناصر الرومانية أدوارا هامة في الجيش الفاطمي وتميز أفرادها عن غيرها من الجند بحذقهم في صناعة كل أنواع الأسلحة وما يحتاج إليه الجيش لأداء مهامه ولعل ما وصل إليه جوهر الرومي الصقلي[3]، من مكانه يعد صورة صادقة لما يمكن أن يصل إليه عناصر هذه الفرقة من سلطة فقد كشف جوهر عن مقدرات عسكرية التي استهلها أبو عبد الله في سنة «291هـ/954م» حيث أخضع لسلطان المعز أهالي هذه البلاد حتى دانوا له بالطاعة والولاء[4].

---

1 –ابن خلدون: العبر، ج6، ص 153.

2 –الجوذريك: سيرة الاستاذ جوذر، ص 187.

3 –ياقوت، الحموي: معجم البلدان، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1990، ج3، ص416.

4 – الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد: العبر في أخبار من غيرة ، تحقيق: فؤاد السيد ، الكويت، 1961م، ج3، ص16.

5-العناصر السودانية:

إن تأثير العناصر السودانية في الجيش الفاطمي كان ضئيلا إذا ما قورن بالعناصر الأخرى وكانوا يعملون في فرق خاصة في ظروف استثنائية ويتضح هذا الدور بخاصة في شخصية ضد الفتى الذي كان يعمل جاسوسا حربيا لدى عبيد الله المهدي قبل ارتقائه إلى رتبة قائد الجيش بعدما كانت مهمته تتركز في نقل الأخبار بين عبيد الله المهدي و ولى عهده في سرية تامة[1]، إضافة إلى أوكلت لهذه العناصر السودانية مهام أخرى مثل قيامهم على تعذيب المخالفين للسلطة الفاطمية ولكن دور هذه العناصر السودانية بدأ يتضح أكثر أيام المعز لدين الله حيث كانت ضمن فرق الجيش الذي سيره لفتح مصر سنة 362هـ/975م[2].

عمل الفاطميون على تأسيس جيش قوي وبمساعدة هذه العناصر تمكنت الدولة الفاطمية من تحقيق أغراضها السياسية التوسعية.

ثالثا: طبقة التجار:

كانت ظروف التجار في العهد الفاطمي مريحة خاصة أن أبا عبد الله الشيعي قد وفر لهم الأمن وأحسن استقبالهم لما دخل القيروان سنة «296هـ/969م»[3]، وكان للتجار مكانة اجتماعية مميزة خلال العصر الفاطمي حيث كانوا يحضرون الاستقبالات الرسمية للخلفاء ومناسبة التهيئة بالأعياد ضمن كبار الدولة إضافة إلى ذلك أنهم كانوا يتعاملون تجاريا مع

---

1 – اليماني، محمد بن محمد: سيرة الحاجب، جعفر، نشر وايف نوف مجلس كلية الأدب، الجامعة المصرية، القاهرة ، 1936، ج1، ص 122.

2 –موريس، لومبار: الإسلام في مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1979م، ص 125

3 –ابن عذارى، بن أحمد محمد: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج1، ص120

الحلفاء والأمراء ورجال الدولة فيعرضون عليهم سلعهم وبضائعهم، ويوفرون لهم كل ما يطلبونه، وقد حظي التجار باحترام وتقدير الحلفاء وكان صوتهم مسموع لديهم.[1]

وقد عملت الخلافة الفاطمية بتنظيم النشاط التجاري في بلاد المغرب الإسلامي باعتباره موردا هاما لنظام الجباية ولتجميع الثروات وتوفير عملية نقدية ذهبية ذات شان وتساهم التجارة الكبرى بخاصة في تجميعها بأيدي التجار في المراكز التجارية النشطة إضافة إلى ذلك أن الدولة وفرت جميع الإمكانيات والوسائل اللازمة أمام التجار لممارسة نشاطهم من خلال تنظيم الأسواق والتي تمثل المجال الحيوي التي تنشط حوله المياه التجارية والاقتصادية[2]، هذا خلال تعيين جماعة خاصة تقوم بمراقبة عمل التجار وسلعهم، والذي سمي بالمحتسب، وكان يراقب السوق وله نواب يساعدونه في تولي مهمته، وكما كان يشرف على نظافة الأسواق ومراقبة أخلاق الناس[3]، وقد فرض الخلفاء مراقبة شديدة من أجل حماية صحة المستهلك، فكان المحتسب يأخذ معه الجند، ليسهلوا عليه مراقبة الأسواق، وذكر ابن حوقل: في وصفه «أسواق بونة» أن لها عامل قائم بنفسه، ومعه من البربر لا يزالون على الرابطة[4].

عرفت بلاد المغرب الإسلامي حركة اقتصادية نشطة خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين مما كان له الأثر الإيجابي على البلاد ولم تتأثر إلى حد كبير بجو الصراعات السياسية في فترة التواجد الفاطمي[5], وتمتع التجار بحرية النشاط التجاري شجعت عناصر هامة خاصة الأجانب الذين دخلوا بلاد المغرب الإسلامي قادمين إليها من مناطق مختلفة خاصة بلاد الأندلس وبلاد السودان وحتى أوربا ويعود الفضل إلى التجار اليهود الذين كان لهم الدور

---

1 –ابن عذارى: المصدر السابق، ص150.

2 –موسى، لقبال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص39.

3 –عبد المنعم، سلطان: المرجع السابق ،ص54.

4–ابن حوقل: المصدر السابق، ص77.

5 –أدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة، 1940، ج2، ص 184.

الرئيسي في إنعاش حركة المبادلات التجارية خاصة بعد أن أحكموا سيطرتهم على أهم تجارتين خلال تلك الفترة الذهب والرقيق[1].

كما أن العناصر الأندلسية هي الأخرى مثلت قوة بشرية واقتصادية في بلاد المغرب وأن سنة «290هـ/903م» تاريخ ارتباط العناصر الأندلسية ببلاد المغرب الإسلامي وأن مدينة تنس تعد مكانا لهؤلاء بالمنطقة[2].

واتبع الفاطميون سياسة اقتصادية قائمة على الانفتاح على العالم الخارجي حتى غدت عاصمة الخلافة المحمدية في تلك الفترة من أبرز المدن التي شهدت توافدا واسعا للتجار الأجانب الذين كانوا يقصدونها بتجارتهم من مختلف المناطق سواء القريبة أو البعيدة وأصبحت مرفأ الإسكندرية والشام وصقلية والأندلس[3].

كان هناك تجار أغنياء لكنهم فئة قليلة العدد بحكم موقعها في قمة الهرم الاجتماعي وهناك طبقة التجار الصغار وهم تجار البوادي والأرياف المعزولة الذين كانوا يشتكون من ثقل الضرائب المفروضة عليهم حيث أرغم أهل البوادي على بيع محاصيلهم في مدينة المهدية بأثمان زهيدة وكان ذلك في عهد عبيد الله المهدي[4], إضافة إلى ذلك وقوع انتفاضات بين سكان المدن بسبب سياسة العهد المنظم والاعتداء على أموال التجار من قبل الجيش الفاطمي[5]، رغم السياسة المالية المجحفة التي اعتمدتها الدولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي عموما ومعاناة التجار خاصة من جرائها غير أن هذه الطبقة شكلت العمود الفقري لخلافتهم فكان

---

1 – ابن خرداذية، عبد الله، بن أبي القاسم: المسالك والممالك، مطبعة بديل، ليدن، 1889م، ص20.

2 –موريس، لومبار: الإسلام في مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1979م، ص 101.

3 –البكري، أبي عبيد الله: المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، مكتبة المنشئ، بغداد، د.ت، ص 29.

4 –المالكي، أبي بكر عبد الله بن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان، وزهادهم وفضائلهم، تحقيق: بشير الكبوش، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1403هـ/1983م، ج2، ص 223.

5 – ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ج1، ص162.

التجار عنصرا فعالا في المجتمع فأثروا وتأثروا بما حولهم من أحداث دون أن ينقطع نشاطهم وهذا ما انعكس بالإيجاب على خروج المرأة إلى السوق ومساهمتها إلى جانب الرجل[1].

رابعا: الطبقة العامة:

يمثل أفرادها السواد الأعظم من الناس لذا يكون تصنيفها في أسفل الهرم الاجتماعي وقد عرف جرجي زيدان العامة بقوله « هم أخلاط من غوغاء لفيف من أمم شتى وصناعات شتى وهم جهال أتباع من سبق إليهم من غير تفضيل[2]»، نظر الفاطميون إلى هذه الطبقة العامة بكل ما هو حقير ووضيع فقد شبههم المعز لدين الله الفاطمي بالحجرة التي لا رونق لها ولا جوهر كما وصفوهم بالحمير الجهال، فإننا لم نزل نتلطف في هدايتهم ومسايرة أحوالهم إلى أن يختم الله لنا بالحسنى[3].

إن هذه الطبقة العامة يمكن أن تشمل جميع فئات المجتمع والتي تتكون من الزارعين والفلاحين وأصحاب المهن والصناعات وصغار التجار والعاطلين عن العمل لذا نجد هؤلاء العوام أشد الناس ارتباطا بالسلطة الحاكمة نظرا لعدم توفرهم على موارد مالية مستقرة ونجد أحوال العامة ساءت في القيروان وفي أغلب المناطق التي شملها حكم الأغالبة نتيجة السياسة الجبائية الثقيلة التي أثبتها أمراء هذه الدولة ضد ملاك الأراضي والفلاحين والتجاريين لاسيما خلال حكم الأمير إبراهيم بن أحمد «261هـ/289هـ/875/902م»[4].

بقيت أحوال العامة على هذا السوء والتدهور حتى سنة «296هـ/909» فانتشرت الفوضى في كل أنحاء البلاد وانتشر الفساد وأماكن اللهو وقد ساهم الحكام الأغالبة المتأخرين في ديوع الرذائل بين أوساط العامة فأضاعوا شؤون الحكم.

1 –المالكي : المصدر السابق، ج2،ص223.

2 –جرجي، زيدان: تاريخ التمدد الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967، ج1، ص569.

3 –بطرس، البستاني: وسائل أخوان الصفا وخلان الوفاء، دار بيروت للطباعة والنشر، 1983، ج4، ص511.

4 –ابن عذارى: البيان، ج1، ص 131.

وقد استثمر أبو عبد الله الشيعي في هذه الاضطرابات الاجتماعية كي يؤلب قلوب العامة للثورة على حكم الأغالبة وقد جاء في هذا الصدد واستغل زياد الله بلهوه ولعبه وأبو عبد الله يأخذ المدن شيئا بعد شيء عنوة وصلحا[1]، نالهم من الجور والأذى في أموالهم وأراضيهم التي تعد مصدر رزقهم واستطاع أبو عبد الله الشيعي بحنكته وذكائه كيف يستميل إليه قلوب العامة مستفيدا من مواطن ضعف الحكم الأغلبية ثم بعد ذلك يبدأ يهنئ الناس بظهور المهدي الذي سيملأ الأرض عدلا بعد أن امتلأت ظلما و جورا[2].

1 –المقريزي: الإتعاظ، ج1، ص62.

2 –القاضي، النعمان: الافتتاح، ص 271.

المبحث الرابع: المؤسسات الثقافية في بلاد المغرب في العهد الفاطمي.

من العوامل التي ساعدت في إثراء ونمو الحياة الثقافية عامة والأدبية خاصة هي مصادر التثقيف والتعليم فقد لعبت المؤسسات التعليمية من مساجد وكتاتيب ومكتبات العامة والخاصة دورا لا يستهان به في سبيل تثقيف المغاربة، فكانت تلك القنوات الخيار الأمثل الذي انتشرت عن طريق العلوم والثقافة الإسلامية والعربية.

أولا: المساجد:

برزت المساجد منذ القدم أي منذ أن وضع الرسول صلى الله عليه وسلم أساس مسجد قباء بالمدينة المنورة كانت ومازالت ذات رسالة تعبدية وعلمية، فقد ورث الفاطميون عددا من المساجد كانت موجودة قبل بداية دعوتهم حيث قاموا باستغلالها بعد سقوط المغرب الإسلامي تحت أيديهم وأصبحت هذه المساجد بمثابة مراكز لبعث الدعوة الشيعية الإسماعيلية، وهن أهم هذه المساجد الجامع الأعظم بالقيروان[1].

حيث قاموا بتحويله إلى المذهب السني السائد إلى المذهب الشيعي في الجامع حيث ألقي الداعي الشعبي عبيد الله الشيعي أول خطبة حث فيها أهل القيروان بالانضمام إلى دعوته[2] ثم تلى ذلك تغيير الأئمة وسب الصحابة على منبر الجامع، وتحويل صيغة الأذان، واستبدال عبارة حي على الفلاح بعبارة حي الخير العمل وعدم تأخير صلاة العصر وتكبيرة صلاة العشاء، أما في رمضان فقد منعوا صلاة التراويح[3]، وكان الهدف من ذلك هو محاولة القضاء على السنن المالكية لأهل المغرب هذا مما دفع بهؤلاء إلى مقاومة هذا التحول، بقيادة علماء المالكية الذين اعتزلوا الصلاة فيه وشمل الصلوات الخمس وصلاة الجمعة[4]، لم يكن مسجد

1 –شيد مسجد القيروان من طرف عقبة بن نافع الفهري ولقي شهرة واسعة في المغرب، ينظر: محمد، بن زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط1، دار المنار، القاهرة، 1408هـ–1988م، ص 425.

2 –يوسف، حوالة : مصدر سابق، ج1، ص76.

3 – القاضي عياض، أبو الفضل: ترتيب المدارك وتقريب المسالك بمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن تايود الضجي، وزارة الشؤون الإسلامية، الرباط، ج2، ص 319.

4 –محمد، بن زيتون: المصدر السابق، ص 445.

القيروان الوحيد الذي استخدمه الفاطميون لنشر مبادئ مذهبهم بل شيدوا مسجدين آخرين هما المسجد الجامع بالمهدية عاصمة الفاطميين، أما المسجد الثاني هو مسجد الناقة الذي بناه الخليفة المعز لدين الله أثناء مروره بمدينة طرابلس متوجها إلى مصر عام «362هـ/973م»[1].

عمل الخلفاء الفاطميون عن طريق هذه المساجد لتثبيت دعائم حكمهم وكذلك نشر المذهب الإسماعيلي من خلال حلقات الدرس التي كانت تلقى في المساجد.

ثانيا: الكتاتيب:

تعتبر الكتاتيب من أقدم وأهم المؤسسات التعليمية بعد المساجد التي ساهمت في نشر العلوم والمعارف، وقد شهدت المغرب ظهور الكتاتيب في وقت مبكر وقد عرف المغرب إبان العصر الفاطمي الكتاتيب الخاصة والعامة فالخاصة كانت تتواجد في قصور الفاطميين والعامة تتواجد في زوايا وأركان المدن[2], أما فيما يخص مناهج التدريس والمواد التي تدرس فقد ذكر القابسي «ت403هـ/1012م» في رسالته تحت عنوان الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحوال المعلمين والمتعلمين يجب أن يتوفر في المؤدب من شروط عملية وضوابط التعامل مع الصبيان وما يجب أن يلقن لهم من مواد، سواء تحفيظ أو تعليم القرآن والكتابة أو أصول الفقه والأدب والشعر والنحو والحساب[3].

بالإضافة إلى الطبيب المؤرخ أحمد بن إبراهيم بن خالد الجزار «269هـ/909م» الذي ألف كتاب تربوي بعنوان سياسة الصبيان وتربيتهم وقد جاء فيه المؤلف بعدد من النظريات التربوية[4]، وتثبت هذه المؤلفات بلغة بسيطة تدعم الاتجاه التعليمي الفاطمي في التأليف وكانت

---

1 –سمي بمسجد الناقة المحملة ذهب التي أهداها الخليفة الفاطمي المعز لدين الله لأهل طرابلس، ينظر: أحمد، مختار عمر: النشاط الثقافي في ليبيا، ط1، منشورات كلية التربية، طرابلس، ص 126.

2 –الكتاتيب جمع كتاب وهو مشتق من لفظ التكتيب وتعليم الكتابة ويقال له المكتب وهو موضع التعليم، ينظر: الفيروز، أبادي: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ج1، ص 12.

3 –أبو الحسن، القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، تحقيق: أحمد، خالد: تونس، 1986م، ص 192.

4 –نشيدة، رافعي: الحياة الفكرية والثقافية في المغرب في العصر الفاطمي (296هـ/362هـ)، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر،2003،2002، ص 347.

موجهة للصبيان من المعلمين حرص على نشر الدين وتبسيط قواعد اللغة، ولم تكن توجد هذه التأليف لولا حاجة المجتمع الفاطمي الضرورية لها بالإضافة إلى أنها ألفت حماية للمذهب الشيعي[1]، وكان الهدف منها أي الكتاتيب هي تنشئة النشأ المغربي على المذهب الإسماعيلي الشيعي فكانت لها دور مهم في تنشيط الحركة الثقافية عموما.

ثالثا: المكتبات:

كانت من أهم المؤسسات التعليمية التي ساهمت في نشر العلوم والثقافية فالمكتبات اشتقت اسمها من لفظ كتاب وشكل الكتاب أهمية بالغة عند الخلفاء الفاطميين لذلك أعطوا اهتمام وعناية كبيرة للمكتبات والكتب لعدة أسباب أهمها السعي لنشر التعليم واعتناء الخلفاء أنفسهم بحفظ كتب أبائهم وأجدادهم[2].

ومثال على ذلك أن الخليفة عبيد الله المهدي حمل جميع كتب ووثائق أبائه وهو ذاهب من سلمية إلى سجلماسة وسرقت منه وهو في طريقه في مكان يسمى بالفاحونة، وهي تقع بالقرب من طرابلس لكن القائم بأمر الله استطاع أن يستعيد هذه الوثائق[3].

وقد عرف العصر الفاطمي نوعين من المكتبات الخاصة والعامة ومن أبرزها مكتبة بيت الحكمة كانت جامعة إفريقية علمية أدبية لغوية في العصر الأغلبي ورثها الفاطميون من بعد واتخذوها مراكز المجالس الدعوة الإسماعيلية وفيه يناظر دعاته علماء السنة إلا أن هذا لم يمنع من وجود حركة علمية، حركة عقلية ناشطة ووعي ديني لتبادل الأفكار، إضافة التي بروز علماء أفرزهم مجالس المناظرة والجدل، وكانت تعقد في بيت الحكمة مرة كل أسبوع[4].

1-المكتبات العامة:

---

1 – نشيدة، رافعي: المصدر السابق, ص376.

2 –نشيدة، رافعي: نفس المصدر ، ص449.

3 – رشيدة، رافعي: نفس المصدر ص451

4 –أسسها إبراهيم بن أحمد المعروف بإبراهيم الثاني، وسميت ببيت الحكمة نسبة لبيت الحكمة ببغداد، سنة 246هـ-878،ي نظر : رابح، بونار : مرجع سابق، ص55.

بعد أن ورث الفاطميون بيت الحكمة بكتبه المختلفة ونظامه الدقيق وأنهم أضافوا إليه معارفهم والكتب المؤلفة عن مذهبهم ويعتبر بيت الحكمة من المكتبات العامة وبجانب هذا المكتبة الحكومية العامة كانت هناك خزانات الكتب التي توضع في المساجد وتصبح وقف على الطلبة العلم وقد أوقف عبد الله بن هاشم بن مسرور ثلث المكتبة لطلاب العلم.

2-المكتبات الخاصة:

ذكر المؤرخون أخبار متفرقة عن وجود المكتبات الخاصة لدى العلماء، وهي توضح لنا العناية الفردية بالكتاب والمكتبات وتصور لنا الوعي المكتبي آنذاك حيث أن نجد أن كتب أبي العرب تميم بلغت ثلاث ألاف وخمسمائة كتاب بخط يده، وأن عبد الله بن هاشم التجيبي اقتنى كتب كثيرة من جميع العلوم، وكانت هناك مكتبة أحمد بن الجزار التي تحتوي كتب طيبة وغيرها.

وقد كان للمعز لدين الله مكتبة في المنصورية زاخرة بالكتب يعرف مواضع ما فيها من الكتاب وما تحتويه من المعلومات، وقد قيل أن المعز أمر خازن كتبه أن يحضر له كتابا فلم يحضر له على الفور فقام المعز وبحث عنه ثم قرأ واستهواه الإطلاع حتى صرف معظم الليل في القراءة[1].

1 -حسن، حسني عبد الوهاب: مرجع سابق، ج1، ص 25،محمد، محمد زيتون: مرجع سابق، ص 415.

المبحث الخامس :اقتصاد الدولة الفاطمية ببلاد المغرب.

أولا: الزراعة:

تعد الزراعة كحرفة منذ آلاف السنين مارسها الإنسان لتوفير الغذاء، كما لعبت دورا مهم في تطور المجتمعات وازدهارها لأنها أساس الأنشطة الاقتصادية الأخرى.

كانت بلاد المغرب مزدهرة في المجال الزراعي، فانتشرت البساتين والمزارع وذلك بشهادة الرحالة والجغرافيين حيث ذكر أن قسنطينة[1]، كانت ذات تربة خصبة صالحة للزراعة وبها بساتين[2].

سار عبيد الله المهدي على منهج تقريب أوليائه من كتامة بالاقتطاعات والأموال ومنحهم إقطاعات واسعة فصاروا من أكبر قبائل المغرب ثروة[3]، وأنشأ لابنه القاسم مدينة المسيلة وأمر بإحياء الأرض وتشجيع الزراعة[4], وقام بعده إسماعيل المنصور على توزيع الأموال والأرزاق على قبائل المغرب الأوسط فكان سببا في الإصلاح والعمارة وانتعاش الفلاحة حيث قال ابن حماد: « ونزل إسماعيل المسيلة فأقام بها أياما، تعدل أعواما، مما فرق فيها من الأموال وسدد الأحوال» .

ثانيا: الصناعة :

عرفت بلاد المغرب عدة مهن وصنائع خلال القرنين « 4-5هـ» وتميز نوعان من الصنائع تختلف باختلاف المجتمع البدوي والحضاري حيث صنائع المجتمع البدوي تتمثل حول توفير الطعام والملبس والخيام وبعض الأدوات التي تستعمل في توفير الأمن[5], أما بالنسبة

1- الحموي، شهاب الدين، أبي عبد الله: معجم البلدان، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، 1977، ج4،3،2، ص349.

2 -مجهول المصدر: ص165.

3 -المقريزي تقي الدين، أحمد بن علي: اتعاظ الحنفاء بأخبر الأئمة الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشبال، ط2، مطابع الأهرام للنشر، القاهرة، مصر، 1996، ص 176.

4 - الصنهاجي، ابن عماد أبو عبد الله محمد بن علي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص46-47.

5 -عبد الكريم، يوسف جودت: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال(ق3-4هـ/9-10م)، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر، بن عكنون، الجزائر، ص77.

للمجتمع الحضري حيث يستبحر العمران، ويكثر السكان ويزداد تطلعهم إلى ما وراء الضروري أي الكماليات حيث يذكر ابن خلدون: « إذا زخر بحر العمران، وطلبت فيه الكمالات كان من جملتها التأنق في الصنائع واستجادتها وكملت بجميع متمماتها وتزايدت صنائع أخرى معها...»[1].

وكان عبد الله المهدي[2]، وبنوه يستعملون في أطعمتهم إلى جانب ملاحات البحر وكانت القوافل إلى بلاد السودان كفيلة بتأمين مادة الذهب[3]، إضافة إلى مادة الخشب ومعدن الحديد والمرجان والخشب التي كانت تتواجد ببلاد المغرب.

ثالثا: التجارة:

اهتم الإسلام بالتجارة وحث عليها بما فيها من فوائد على الإنسان كما جعل لها قواعد وتنظيمات يجب إتباعها أثناء ممارسة النشاط التجاري حيث قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما»[4]، فقد شهدت بلاد المغرب الأوسط في القرنين 4-5ه حركة اقتصادية نشطة وقد ساعدتها في ذلك اختلاف التضاريس الطبيعية واعتناء الدولة الفاطمية بتنظيمها باعتبارها موردا أثريا لنظام الجباية ولجمع الثروات وتوفير العملة النقدية الذهبية التي تساهم في ازدهار التجارة[5].

والجدير بالذكر أن الأئمة الفاطميين شاركوا بأنفسهم في التجارة واستغلوها في خدمة مصالحهم الخاصة وذكر جودت عبد الكريم نقلا عن الجوذري: « أن المنصور الفاطمي صرح بممارسة التجارة في الحلال الطيب[6]»، كما عمل الأئمة الفاطميين بإنشاء الأسواق ورتبها تحت

1-ابن خلدون: المقدمة، ص 401.

2 -هو عبد الله الملقب بالمهدي، ولد سنة 260ه،874م بمدينة سلامة ودعي له بالخلافة.

3 -عبد الكريم، جودت: المرجع السابق، ص 84.

4 -سورة النساء: الأية 29، ص13.

5 -الحبيب، الجنحاني:المصدر السابق، ص 229.

6 -جودت، عبد الكريم: المرجع السابق، ص 126.

إشراف رجال البيت الفاطمي، وسيطرت الدولة الفاطمية عن المناطق الحساسة كتهرت الطريق التجاري إلى تلمسان[1]، وطريق سجلماسة عن طريق السودان وبالتالي التحكم في الذهب[2].

رابعا: النقل:

تعتبر الطرق العصب الرئيسي المحرك للتجارة فهي تساعد على تنشيطها وقد اشتملت بلاد المغرب الإسلامي على شبكة واسعة من المسالك والطرق الداخلية التي تربط بينها وبين مدن المغرب الإسلامي مما يساهم في ازدهار النشاط التجاري الداخلي والخارجي وكانت تقدر المسافات بين الطرق بالأميال ومنها من أعطاها مقدار المراحل[3]، والبعض الآخر بأيام السير وقد قدمنا الطرق التجارية إلى فرعين:

1-الطرق الداخلية:

ذكرت عدة طرق داخلية تربط بين مدن المغرب منها طريق يسير من مجانة قدرة سبع مراحل، نحو باغاي ومنها تتفرع إلى عدة فروع أولها باتجاه بونة، أو نحو مسيلة مرورا بقسنطينة وميلة وسطيف أو من باغاي إلى طبنة وصولا إلى تيهرت[4].

2-الطرق الخارجية:

تسير من إقليم المغرب الأوسط جملة من الطرق التجارية التي ترتبط مع أقاليم وبلدان خارجية فهناك طريق يربط بين القيروان وتيهرت مسيرته شهر على الإبل[5]، أو تقدر مسافته ب20 مراحل وطريق ثاني ينطلق من القيروان مسافته 12 مرحلة ويمر بمدن وقرى ليصل إلى المسيلة، وطريق أخر يربط المسيلة ومدينة فاس5، يبلغ طوله 27 مرحلة مرحلة، ومن

---

1 -مختار، الحساني: الصراع بين الأمويين والفاطميين على السيادة في المغرب الإسلامي خلال القرن العاشر ميلادي الرابع هجري، رسالة لنيل الدراسات المعلقة، معهد العلوم الاجتماعية، دائرة الدراسات التاريخية والآثار، جامعة الجزائر،1977، 1978، ص 102.

2 -عبد الكريم، جودت: نفس المصدر، ص 224-225

3 -هي المسافة التي يقطعها المسافر نحو يوم بالسير المعتاد على الدابة والجمع مراحل تقدر المرحلة ب 24 ميل ومقداره عند المالكية والحنفية 44.520 كلم، على، جمعية علي، المرجع السابق، ص59.

4 -ابن حوقل: المصدر السابق، ص 84.

5 -ابن الفقية :المصدر السابق، ص 79.

هذه الأخيرة إلى سجلماسة 13 مرحلة ومسيرة شهرين نحو أودغست ومنها إلى غانة بضعة أيام[1].

1 –ابن حوقل: نفس المصدر، ص84.

الفصل الأول:أسباب انتقال الفاطمي من المغرب إلى المشرق.

المبحث الأول: أسباب داخلية.

أولا: المقاومة السنية ضد الشيعة.

ثانيا: ثورات الخوارج والبربر.

المبحث الثاني: أسباب خارجية.

أولا: الموقع الجغرافي لبلاد المشرق.

ثانيا: القضاء على الخلافة العباسية.

الفصل الأول: أسباب انتقال الفاطمي من المغرب إلى المشرق.

إن الدولة الفاطمية تعرضت لعدت عوامل كانت وراء انتقالها إلى مصر، وحالة بينها وبين استمرار بقائها في إفريقيا والمغرب، أهمها الخلاف المذهبي سبب خلافا كبيرا مع أهل المغرب الذين كان معظمهم يتبعون المذهب السني، التي واجهت الدولة وأشعلت ثورة أبي يزيد مخلد بن كداد (صاحب الحمار الأشهب)، الذي ناد بمذهب الخوارج النكاري، واستطاع على الرغم من اختلاف المذاهب أن يضمن مساندة أهل السنة المالكية لها، ولقد قضى على هذه الثورة بصعوبة، أيضا سوء المعاملة لرعايا الدولة الفاطمية، وفرض الضرائب الباهظة التي اتبعتها الدولة الفاطمية مع أهل المغرب واتباع سياسة القتل والتنكيل وخداع الناس، لأن هذه الأموال تجمع لصالح الجماعة وابتكار أساليب غير شرعية لأخذ الأموال.

المبحث الأول: أسباب داخلية.

واجه الفاطميون معارضة كان لها تأثير قوي على شمال إفريقيا أدى بطبيعة الحال في انتقال الفاطميون إلى فتح مصر وإقامة الخلافة الفاطمية وقد تمثلت هذه المعارضة بعدد من النقاط كان أهمها:

أولا: المقاومة السنية ضد الشيعة.

لقد واجهت الخلافة الفاطمية في إفريقية مقاومة شديدة وعنيدة متمثلة في أهل السنة وخاصة المذهب المالكي في القيروان[1]، الذين رفضوا أن يخضعوا للحكم الشيعي الإسماعيلي المتمثل في الخلافة الفاطمية، ومن ثم جاهر علماء المالكية بإنكار المذهب الشيعي[2]، كما أنهم قاطعوا الفاطميين مقاطعة سلبية[3]، وعملوا على عدم التعاون في شتى المجالات مع هذه

[1]- النعمان، القاضي: المجلس والمسايرات، المصدر السابق، ص89-90.

[2]- محمود، مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التاريخ والأخبار، تحقيق: علي الزاوي ومحمود محفوظ،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج1، ص334.

[3]- الداعي، عماد الدين ادريس: تاريخ الخفاء الفاطميين في المغرب، القسم الخاص من عيون الأخبار: تحقيق: محمد العيلاوي، ط1، دار الغرب، بيروت، 1985، ص606، 607.

الخلافة الجديدة لذلك وقف الشعب المغربي كله صفا واحدا متكتلا خلف قادته الدينين المالكيين[1]، الذين اعتبروا الفاطميين زنادقة نادوا بقتالهم ومقاطعتهم، وأن لا يصلي في مساجدهم ولا تدفع لهم أموال ولا يتعاون معهم[2]، لذلك علم الفاطميين أن لا سبيل لنجاح دولتهم لا بمحاولة التغلب على النزعة الدينية المغربية المتمثلة في المذهب المالكي، ومن ثم بذل الفاطميون جهودا كثيرة في المناظرات ومجالس العلم وبث الدعاة، وإغداق الأموال على جموع الشعب المغربي.

وفي أحيان أخرى لجئوا إلى استعمال السيف[3]، وإراقة الدماء، ولكن كل المحاولات باءت بالفشل، بل أن كثيرا ما كانت تثار فتن بين كتامة أنصار الفاطميين أو العصبية التي يعتمد عليها الفاطميون في استقرار دعائم حكمهم[4]، وبين أهل القيروان ويقتل فيها خلقا كثيرا وقد خرج المهدي[5]، في إحدى هذه الثورات وسكن الفتنة وكف الدعاة عن مطالبة العامة بالتشيع[6].

ولذلك أسس المهدي مدينته الجديدة المهدية «303هـ/915م»[7]، بدأ من رقاده والقيروان حتى يؤمن جانب المالكيين في القيروان[8]، قال بعد أن شاهد تمام بنائها «أعددناها لمقام ساعة ونهار»[9].

---

[1]- فؤاد سيد، أيمن: الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، ط1، القاهرة، 1992، ص55، 56.

[2]- عبد الفتاح مقلد، الغنيمي: موسوعة الغرب العربي، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994، ج3، ص71.

3- ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر ، المصدر السابق، ص85.

4- النعمان، القاضي: المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص 196.

5- المهدي: أول الخلفاء الفاطميين في بلاد المغرب واسمه الحقيقي أبو محمد عبد الله بن محمد بن إسماعيل وينتهي نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب.

6- المقريزي: اتعاض الحنفاء، المصدر السابق، ج1، ص68.

7- المهدية: عاصمة الفاطميين الثانية سنة (303ه/915م)، على طرف الساحل الشرقي.

8- محمد علي، بن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايور، ط1، دار القلم العربي، بيروت: 1996م، ص362، 263.

9- النعمان، القاضي: المصدر السابق، ج23، ص155.

ولم تكن هذه المقاومة السنية في أيام المهدي فقد بل استمر حتى خرجت الخلافة الفاطمية من المغرب واستقرت في مصر سنة «358هـ/969م»[1]، ومن ثم نجد آخر الخلفاء الفاطميين في المغرب المعز لدين الله[2]، يشكوا فساد الناس في إفريقية وصعوبة سياستهم وقلة إنصافهم وعدم الخير في أخد مجالسه مع القاضي النعمان[3].

إذ المعتقدات التي أظهرتها الشيعة الإسماعيلية من تطرف وغلو، وما سنو من تعاليم أجبروا الناس على اعتناقها وإتباعها، فهذا هو السبب الرئيسي والأساسي للصراع، وهذا مبني على ما سمع عن الشيعة من بدع[4]، فحسب ما يروي ابن عذارى: « أن عبيد الله، بمجرد وصوله من سجلماسة إلى القيروان في شهر ربيع الثاني سنة (297هـ/910م) أظهر تشيعه القبيح بسب النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه، وحكم بكفرهم وارتدادهم عن الإسلام بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يستثني منهم إلا عليا وبعضا قليلا ممن أيدوه ونصاروه »[5]، مما أثار حفيظة علماء أهل السنة وجعلهم يتخذون موقفا ضدهم، ولم يتوفق الأمر عند هذا الحد، بل تعداه الى أكثر من ذلك وأيضا إدعاء عبيد الله المهدي بالنبوة، فهو يرى نفسه قد اعتلى عرشها[6]، بالإضافة إلى علوا بعض الدعاة العبديين في المهدي حتى أنزلوه منزلة الإله وأنه يعلم الغيب وأنه نبي مرسل[7].

وادعى ذلك لغير الله فوقع في الشرك، قال الله تعالى:« وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين»[8]...الخ وأمر بأن يذكر اسمه في الخطبة وقام دعاته

1- النويري، شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: أحمد كمال زكي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1980، ج23، ص155.
2- المعز لدين الله: ثالث الخلفاء الفاطميين ولي الخلافة بعد أمية، وكان اول خليفة يتم له فتح مصر.
3- النعمان، القاضي: المصدر السابق، ص212.
4- عبد العزيز، محجوب: الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، دار سحنون للتوزيع والنشر.
5- ابن عذارى: البيان المغرب،المصدر السابق، ج1، ص159.
6- عبد العزيز، مجدوب: المرجع السابق، تونس 2008، ص190.
7- إبراهيم، التهامي: المرجع السابق، ص45.
8- سورة الأنعام: الآية 59.

بإخطار الناس بالعنف لاعتناق المذهب الإسماعيلي مما جعل العلماء المالكية يتخذون موقفا جهاديا ضدهم وسلكوا عدة أساليب منها الإفتاء بتكفير الشيعة والخروج لمحاربتهم، وعدت وسائل أخرى منها في مقاطعة بني عبيد ومحاربتهم وتمثلت هذه المقاطعة في مقاطعة قضاة الدولة وعمالها وأماكن العبادة التي يسطر عليها العبيديون الذين جعلوا من مقر الخليفة قبلة لهم إضافة إلى إقامة المجالس والمناظرات وهي نوع من المقاومة الجدلية وهي أوسع وأقوى أنواع المقاومة التي قام بها علماء المالكية ضد الشيعة.

ثانيا: ثورات الخوارج والبربر:

لم تكن مقاومة الفاطميين في المغرب من قبل المالكيين فقط بل ظهر عددا من المعارضين لتلك الخلافة ممثلة في ثورات الخوارج والبربر.

1-ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الإباضي « ت 322هـ/943م »[1]:

وكان أبو كيداد من اهل قسيطلة من مدائن بلد توزر وكان يختلف إلى بلاد السودان بالتجارة منها وولد والده أبو زيد ونشأ بتوزر وتعلم القرآن وخالط النكارية[2]، من الخوارج وهم الصفرية ثم سافر إلى تيهرت وأقام بها يعلم الصبيان وكان يذهب إلى تكبير أهل ملته، وفيها عكف عن تعاليم المذهب والمكارم والراجح أنه منذ ذلك الحين بدأ العدة تمهيدا للثورة على الفاطميين[3]، فصار له جماعة يعظمون ذلك في أيام المهدي سنة 316هـ، وتزايدت شوكته وكثر أتباعه في أيام القائم بأمر الله[4]، أخذ بنفسه بالحسبة على الناس كتغيير المنكر وركب الحمار تلقب بشيخ المؤمنين، خرج إلى الجبل الأوراس ودعا للناصر صاحب الأندلس من بني

1- من خوارج المغرب والأندلس من الإباضية الذين أنكروا وإمامة الوهاب بن عبد الرحمن، ينظر: عبد المنعم، الحنيفي: موسوعة الفرق والماجاعات والمذاهب، ط1، مكتبة مداولي القاهرة، 1449م، ص652.

2- سعد زعلول، عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي (الفاطميون وبنو زير الصهاجيون إلى قيام المرابطين)، نشأة المعارف، القاهرة، 1990، ج3، ص184.

33- المقريزي، تقى الدين أحمد، بن على : المصدر السابق، ص75.

4- ابن خلدون عبد الرحمن: المصدر السابق، ص52.

أميه فاتبعه أمم من البربر[1]، وانتشرت دعوته في نفوسه وهوارة والزاب[2]، والمغرب الأقصى[3]، وأنكر على الفاطميين سياستهم الدينية والمالية فإن الصراع بنيه وبين الدولة الفاطمية مر بأربع مراحل:

2- فتح بلاد الزاب «331هـ/944م»:

ظهر أبو يزيد في منطقة الأوراس فقد عول القائم بادئ، ذي البدء على مباغتته في فلك الحصار الذي ضربته جيوش القائم حول مقره وأحرز نصرا ذاع صيته من حلاله[4]، إلا أن أبو زيد كاتب قسنطينة وخاصة بني واسين منهم ثم نزل منها ليجتاح بلاد الزاب إذ حاصر بغايه، تاركا ولائه بني زناتة على حصارها متجها على تبسة ففتحها صلحا ثم مجانة واستولى بعد ذلك على مرجانة.

وفيها لقب بصاحب الحمار حيث أهدى له فيها حمار أشهب فكان يركبه وكان يلبس جبة صوفية قصيرة ضيقة الكمين[5].

3- الاستيلاء على الأقاليم البحرية الشمالية في باجة تونس:

كان رد فعل القائم بطيئا في بادئ الأمر، فاعتمد على حاميات المدن من الكتاميين لصد قوات أبو يزيد فبدلا من تجميع قوات لشن الهجوم، المضاد على أبو يزيد اتخذ موقفا دفاعيا مما وزع قواته على نقاط مختلفة أدى ذلك إلى تجزئتها وضعفها حيث أنفذ الجيوش للدفاع عن رقادة[6]، وإيقاف هذا السيل المدمر فبعث جيشا بقيادة ميسور الفتى إلى رقادة

1- الزاب: منطقة سهيلة واقعة بين أولاد نايل غربا وجبال الأوراس شرقا وبها المياه السائحة والأنهار والعيون ومن مدنها المسيلة والدوس، طينة، بسكرة، ومقرة، ينظر: الحميري: المصدر السابق، ص281، شمس الدين، المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص181.
2- محمد، إسماعيل: المرجع السابق، ص243.
3- محمد، إسماعيل: ص243.
4- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص538.
5- ابن خلدون، المصدر السابق، ص538.
6- محمد سهيل، قطوش: المرجع السابق، ص122.

والقيروان وأخر بقيادة بشري الفتى على باجة، فزحف إليه أبو يزيد وهزم قوات بشري فيها ودخلها وأحرقها[1].

4- دخول القيروان وتحالفه مع أشياخ المالكية:

زحف أبو يزيد على القيروان في الحال وبعدما مر من طبناس والبرحماس أصبح على مسافة عشرة أميال من القيروان[2].

خرج الكتاميون طلائع فوافق أبو زيد في حلف عظيم فانهزمت طلائع الكتامة وتراجعت، فانسحب الكتاميون إلى القيروان فطاردهم أبو يزيد ورأى أن يبدأ بالاستيلاء على رقادة وكان عاملها خليل ابن إسحاق ينتظر وصول ميسور لنجدته[3].

وأخيرا اضطر الخليل على الخروج مكرها إلى القتال لكي يعود منهزما من الزناتيين على القيروان حتى اعتكف في قصر الإمارة تاركا البربر يدخلون المدينة ويقتلون ويفسدون إلى أن انتهى أمر الخليل وبمقتله، وافى أبو يزيد القيروان وأصبح القائد المتمرد ذلك الحين الحاكم بأمره في القيروان وخوفا من النهب والتخريب لم يكن أمام شيوخ المالكية إلى أن يخضعوا لأبي يزيد فخرجوا إليه يطلبون الأمان[4]، فأمدهم ورفع النهب عنهم وقد أظهر خيرا لأهل القيروان[5].

1-محمد سهيل، قطوش، المرجع نفسه، ص123.

2- فرحات، الدشراوي: الخلافة الفاطمية في المغرب: نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، المغرب، 1994، ص255.

2- سعد زغلول، عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زير الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، منشأة المعارف، القاهرة، 1995، ج3، ص184.

4- السيد، عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص538.

5- عبد العزيز، مجدوب: الصراع المذهبي بافريقيا إلى قيام الدولة الزيرية، دار سحنون للتوزيع والنشر، تونس 2008، ص190.

5- الهجوم على منطقة الساحل وحصار المهدية:

هناك شعر أبو يزيد بقوته ثم بعد مصرع ميسور وهزيمة جيشه في نوفمبر 944م وبدأ يتطلع إلى تأكيد سلطانه عند الملوك بالخارج فبعث وفدا من القيروان إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر لقبرطة وهو يعلن الطاعة له ويلتزم الدعاء له من فوق المنابر[1].

وأصبح أبو يزيد متغلبا على معظم إفريقية بعدما غلب جيوش ميسور في معركة رهيبة بين القيروان والمهدية في سنة 28 أكتوبر 944م، ثم أخذت المهدية تستعد لحصار فاس حين أمر القائم بحفر خندق حول الأرياض المدينة لتحصينها وشحنها بكل ما يلزمها من مؤن وأدوات استعدادا لحصار طويل الأمد كما استعان بالزيريين مناد زعيم قبيلة صنهاجة وألحق هذا الأخير بالمهدية في « 23 جمادي 333هـ/كانون الثاني 99م»[2].

زحف أبو يزيد إلى المهدية في أولى محاولاته لدخولها جرت بين قواته وقوات المدافعة عدت اشتباكات فشل في دخولها (المهدية)[3].

6- ثورة ميسرة المصغري:

اختلفت الروايات حول أصله، فذهب بعضها إلى أنه عربي الأصل ونسبه إلى قبيلة الأزد، بينما تؤكد الأخرى على انتمائه إلى قبيلة مصغرة من البربر[4]، كما اختلفت الروايات أيضا حول كنيته فقيل الحقير[5]، أو الفقير وكان سيد قومه وشيخ قبيلته فبايعته الخوارج الصفرية وأرزته في ذلك مكناسة وانضم له الأفارقة، وهكذا تسنى له توحيد القبائل الصفرية في كافة ربوع المغرب الأقصى تحت زعامته فبايعه البربر على الإمامة ودعوه بأمير المؤمنين لأول

---

[1]- سعد غلول، المرجع السابق، ص179.
[2]- السيد عبد العزيز، سالم: المرجع السابق، ص544.
[3]- محمد سهيل، قطوش: المرجع السابق، ص125.
[4]- موسى، لقبال: المرجع السابق، ص159.
3- ابن عذارى، المصدر السابق، ص52.
4- لقبال: المرجع السابق، ص159.
[5]- ابن عذاري: المصدر السابق، ص52.

مرة في تاريخ المغرب الإسلامي وتمكن ميسرة المصغري بفضل ثقة البربر وتجمعهم حوله من قتل عمر بن عبد الله المرادي في طنجة سنة 122هـ، وقام بتعيين رجل من جماعته في مكانه يدعى عبد الأعلى بن جريح الدومي الأصل ثم قام بإقناع الكثير من المترددين اتجاه حركته الثورية وهكذا كثر جمعه من المنظمين إليه[1].

7- ثورة عبد الله بن مسعود التجيبي « 126هـ/744م »:

ترأس بربر هوارة في منطقة طرابلس متحديا حكم عبد الرحمن بن حبيب، فسارع هذا الأخير على إرسال أخيه إلياس[2] لاجتثاث بوادر الثورة وبالفعل قضى إلياس على تلك الحركة بعنف شديد ثم تبقى على عبد الله بن مسعود التجيبي وقتله[3].

أما ثاني الثورات هي التي جاءت بعد اجتماع شيوخ هوارة على اثنين من زعمائها هما: عبد الجبار بن قيس المرادي، والحارث بن بليد الخضرمي، وزحف الحارث وعبد الجبار إلى طرابلس، وضرب عليها الحصار حتى استسلم عاملها وأخذ بثأر التجيبي واقتص من قتله، فأنزل هزيمة بعمال عبد الرحمن بن حبيب في طرابلس وسجناه ثم أطلق سراحه وطردوه من المنطقة، وانتهجا سياسة العنف مع أهل طرابلس فلجأ إلى الحيلة واستمال أحد الشيوخ هوارة، وبعثه ليستأنف الناس ويقطع عن عبد الجبار هوارة، فعقد الخروج بنفسه وقاد الجيش متجها نحو طرابلس، فوصل قابس فعاد أدراجه إلى القيروان وهذا لما علم بتأمر أهلها على خلعه، ولكن حدث حادثا كان مفاجئا انتهى إلى مقتل الحارث وعبد الجبار سنة 131هـ/749م، وكفى عبد الرحمن بن حبيب مؤنة قتلهم[4].

---

[1]- موسى، لقبال: المرجع السابق، ص159.

[2]- بعدما قتل الياس عبد الله بن مسعود التجيبي استاء رجال الطائفة الاباضية وطلبوا من عبد الرحمان بقتل أخيه قصاصا لنفس مؤمنة، فأبى ذلك لكنه أبعده عن شؤون طرابلس تأديبا له واستجابة لرغبة الاباضيين وعين خلفا له بن عبد الله العكي.

[3]- المعلومات عن شخصية هذا الرجل شحيحة للغاية وغير كافية وكلها يستحق الذكر ان ابن عبد الحكم من ذكر، اذ سماه بهذا منسوبا الى تجنب اليميني، أنظر: دراجي، المرجع السابق، ص169.

[4]- المقريزي: اتعاظ الحنفاء، المصدر السابق، ج1، ص68.

المبحث الثاني: أسباب خارجية.

أولا: الموقع الجغرافي لبلاد الشام:

أدرك الفاطميون أهمية موقع مصر في العالم الإسلامي وعرفوا مزايا الموقع الجغرافي، فهي مفترق القارات الثلاثة إفريقيا وأسيا وأوربا، فضلا عن أهمية البحر الأبيض المتوسط في الملاحة الدولية، ولكي يسهلوا نقل التجارة بين الشرق والغرب فتحوا القناة بين النيل والقلزم « البحر الأحمر »[1]، والتي شقت في عهد الفراعنة، وأعاد حفرها البطالمة[2]، وحفرها المسلمون في عهد خلافة عمر بن الخطاب « رضي الله عنه ».

ثم أعيد حفرها في خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي «386-411هـ/996-1020م»، فعرف باسمه سنة «404هـ/1013م» بالخليج الحاكمي[3]، كما عاد الفاطميون للفرض ذاته حفر خليج الإسكندرية بعد ردم الجزء الأول منه عند خروجه من فرع الرشيد «النيل»[4].

ومنذ أن فتح السندباد الأمير الهندي طريق تجارة الهند إلى الشرق فإن هذا الطريق أصبح معروفا لدى المسلمين، وتوسعوا فيه إلى أن وصلوا سواحل الصين وازدهرت أهمية الطريق سيما بعد أن تحولت الطرق التجارية الدولية الواصلة إلى الهند والصين من العراق

1- القلزم: هي مدينة السويس تقع على بحر القلزم ومنها يجاز من البحر الى مكة والحجاز وهي أرض النية التي تاه فيها بنوا اسرائيل، ينظر: ياقوت، الحموي: معجم البلدان، ج4، ص441.

2- البطالمة: أسرة من اصل مقدوني نزحت الى مصر بعد وفاة الاكسندر سنة 323 قبل الميلاد، حيث تولى أحد قادة جيش الاكسندر وهو بطليموس حكم مصر واهتم ببناء الاسكندرية، ينظر: ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم الشيباني: المصدر السابق، ج5، ص337.

3- خليج بمصر في حاشية الفوسطاط، أمر الخليفة عمر بن العاص بحفر مسافة من النيل الى بحر القلزم، فلم يئن عليه الحول حتى سارت فيه السفن وحمل فيه ماأراد من طعام الى مكة والمدينة، ينظر: المقدسي، شمس الدين ابي عبد الله بن محمد ابي بكر: أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، تح: محمد أمين الطنطاوي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2004، ص166.

4- المقدسي: أحسن التقاسيم، ص163.

والخليج العربي إلى مصر والبحر الأحمر، إذ بذل الفاطميون قصارى جهودهم في سبيل الاحتفاظ بها[1].

ازدهرت موانئ مصر المطلة على البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط خلال العصر الفاطمي وكانت المنافذ الرئيسية التي تصل عبرها السلع إلى أوروبا، لذلك اهتم الفاطميون اهتماما كبيرا بهذه الموانئ نظرا للأهمية الكبيرة لها من ثلاث نواحي:

أولا من الناحية الدفاعية عن دولتهم، ثانيا تأمين طرق التجارة من المشرق إلى المغرب، وبالعكس، والمنافسة العسكرية والتجارية بين بغداد والقاهرة ثالثا وإضافة إلى ذلك

أشار القلقشندي إلى اهتمام الخلفاء الفاطميين بالأساطيل فكانت أساطيلهم مرتبة ومنتشرة بجميع بلادهم الساحلية[2]، إذ اعتنى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله «341-365هـ/903-960م»، منذ أن قدم مصر، «362هـ/972م»، عناية كبيرة بإنشاء الأساطيل لإعداد القوات البحرية وعمل على تحصين ثغور البحرية المطلة على البحر[3].

كما انشأ الخليفة المعز في المقس[4]، دارا صناعة للسفن فيها نحو ستمائة مركب حربي ووصفها المقريزي بقوله:[5]« وعمل المراكب التي لم ير مثلها فيها تعد كبرا ووثاقة وحسنا ».

هكذا استطاع الفاطميون بفضل اهتمامهم بالتجارة الخارجية إعداد أسطول قوي قدر له أن يساعد في نفوذهم في البحر المتوسط والبحر الأحمر فسارت سفنهم بين الموانئ محملة بالبضائع بكل راحة وأمان، وكان من أبرز التجار المعروفين في خلافة المعز الذين اشتغلوا

1- المقريزي: الخطط، ج1، ص206.

2- القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشا في صناعة الانشا، ج2، ص23.

3- اسماعيل، سرمنك: حقائق الاخبار عن دولة البحار، المطبعة بولاق، القاهرة، 1923، ص49-50.

4- المقس: ذكرها المقرزي وبن ثغري بردي بانها كانت ضيعة بأم دانين وانما سميت بالمقس لان العشار المكاس كان يستخرج الاموال له المكس ثم قيل المقس، ينظر: القرزي: اتعاض الحنفاء، ج1 ، ص96.

5- المقرزي: الخطط، ج3، ص162.

في مجال التجارة الخارجية بعد الأنبا أبو همام بن زرعة السرياني، وكان من كبار التجار الأثرياء، وقد تردد على مصر عدت مرات للتجارة ثم استقر بها وكان يمد الخليفة المعز الفاطمي وكبار رجال الدولة بما يحتاجونه إليه من بضائع والأمتعة حتى نشأت بينهم صداقات وطيدة عززتها المصالح المشتركة[1].

ثانيا: القضاء على الخلافة العباسية:

لا شك أن الصفة المذهبية الشيعية التي اتسمت بها الدولة الفاطمية كانت من أهم عناصر الخصومة بينها وبين الدولة العباسية الصلة خصوصا بعد أن اقتطعت قسما كبيرا من أرض الخلافة العباسية ولهذا كانت بينهما علاقة عدائية بصفة عامة، غير أن هذا العداء لم يظهر بصورة دائمة بين الخلافتين المنافستين خصوصا في المائة « سنة 334-447هـ/1055/946م » التي سيطرت فيها بني بويه على الخلافة العباسية[2].

فمن المعروف أن بنو بويه كانوا فرسا من بلاد الديلم بفارس، كما كانوا شيعة على مذهب الزيدية وهذا قربهم بطبيعة الحال من الفاطميين، وظل الأمر كذلك حتى ضعف نفوذ بني بويه واشتغلوا في منازعاتهم الداخلية عندئذ تمكنت الخلافة العباسية من التدخل في السياسة ومناوأة النفوذ الشيعي الفاطمي والبويهي على سواه[3].

إن الانتقال الفاطمي إلى المشرق قد فسر بأنه جزء من مخططهم الشامل للقضاء على العباسيين والحلول محلهم، فإن كان هذا صحيحها فإن الفاطميين يكونون قد حاولوا ذلك بانتهاج أقرب طريقة وهي أن الوقت الذي بذلوه للسيطرة على سوريا الشمالية أطول من الوقت الذي بذلوه لتحقيق هدفهم الرئيسي، لعلهم حلموا بإمبراطورية عالمية شاملة تضم جميع الأراضي

1- المقريزي: الخطط، ج3، ص162.

2- العبادي، أحمد مختار: في التاريخ العباسي والفاطمي، الاسكندرية، ص38.

3- العبادي، أحمد مختار: المرجع السابق، ص39.

الإسلامية، ولكن جهودهم في هذا المجال لم تتعدى إرسال الدعاة إلى بغداد والهند وآسيا الوسطى.

كان هدف الفاطميين محددا يمثل هذا الحذر أيضا لاحتلال مصر أو لمواجهة العباسيين إذ كان الفاطميون يعرفون جيدا لا يملكون قوة عسكرية للقيام بهذه المغامرة التي تفوق قدراتهم على ما هو واضح[1].

في هذا الوقت الذي انشقت فيه الدعوة الإسماعيلية وانقسمت على نفسها، وفقدت جناحها الشرقي في فارس، وانشغل فيه أئمتها بتبرير شرعية خلافتهم للإمام المنتصر، كان العباسيون يمنون قوتهم بفضل دعم الأتراك السلاجقة وتأييدهم لهم فأخذوا يهاجمون الفاطميين من جديد في بلاد الشام[2].

1- ابن حلكان، شمس الدين: وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الثقافة، بيروت، 1978م، ص178.

2- المقريزي: المواعظ، المصدر السابق، ج3، ص17.

الفصل الثاني: مراحل الانتقال الفاطمي من المغرب إلى المشرق.

المبحث الأول: أوضاع المشرق قبيل استيلاء الفاطميين على مصر.

أولا: ضعف الدولة العباسية.

ثانيا: أوضاع مصر الداخلية.

ثالثا: أوضاع مصر الخارجية.

رابعا: تغلغل الدعوة الفاطمية في المجتمع المصري.

المبحث الثاني: الحملات العسكرية على مصر.

أولا: حملة الجيش الفاطمي الأولى «301-302هـ/913-914م».

ثانيا: حملة الجيش الفاطمي الثانية «306-309هـ/919-921م».

ثالثا: حملة الجيش الفاطمي الثالثة «-323هـ/943م».

رابعا: حملة الجيش الفاطمي الرابعة.

المبحث الثالث: التوسع الفاطمي في بلاد الشام.

أولا: الحملة الفاطمية على الرملة.

ثانيا: الحملة الفاطمية على دمشق.

الفصل الثاني: مراحل الانتقال الفاطمي من المغرب إلى المشرق.

عندما أعلن المعز لدين الله عن عزمه للتوجه إلى المشرق الإسلامي عبر مصر، لم يتخذ هذا القرار إلا بعد أن كان قد استعد لذلك تماما، وأمن الضمانات الكافية لنجاح مشروعه واشرنا كيف حاول عبيد الله المهدي غزو البلاد المصرية مرتين متتاليتين خلال السنوات الأولى من حكمه ولكن دون جدوى، وبعد القائم والمنصور الذين انهمكا لإخماد ثورة أبي يزيد حول المعز سياسته الخارجية في اتجاه معاكس، حيث كان هدفه الأول خلافا لأسلافه، مقصورا على المغربين، الأوسط والأقصى ويبدوا أن ولادته في إفريقيا ونشأته في المغرب جعله يشعر بأنه مغربي كالأمراء الأغالبة وسائر الحكام من ذوي الأصل البربري الذين حكموا المغرب الإسلامي، وبات تتجه أنظاره نحو مصر والمشرق الإسلامي.

المبحث الأول: أوضاع المشرق قبيل استيلاء الفاطميين على مصر.

أولا: ضعف الدولة العباسية:

أخذ الضعف يدب في جسم الدولة العباسية منذ العصر العباسي الثاني «232-334ه/847-946م»، حين انتقلت الدولة من المركزية إلى اللامركزية في نظام الحكم، وقامت دول انفصالية مستقلة استقلالا تاما أو جزئيا مع الاعتراف سلطان الخلافة الروحية ودخلت شعوب جديدة في المجتمع الإسلامي الشرقي تمكنت من الوصول إلى الحكم، ووقع الخلفاء تحت تأثير نفوذهم، مما أدى على تحجيم دورهم السياسي الفاعل، فقدوا الاحترام الذي كان يتمتع به أسلافهم خلفاء العصر العباسي الأول[1].

بويع المقتدر بالله[2]، بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أخيه المكتفي في سنة 295ه وعمره ثلاثة عشر سنة، ولم يلي الخلافة أصغر سنا منه والذي يعتبر عصره منذ توليه الخلافة عصر شغب وتسلط وجدل في شخصية الخليفة الجديد بين القواد والكتاب والوزراء والقضاة

1-محمود، حسن أحمد والشريف أحمد ابراهيم: العالم الاسلامي في العصر العباسي، ص285.

2- هو جعفر المقتدر بالله بن أحمد المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق طلحة بن جعفر المتوكل على الله بن المعتصم: أمه أم ولد يقال لها شغب، ولد سنة 282ه وتوفي وعمره 38 سنة.، ينظر: البغدادي، الخطيب، الحافظ "أبو بكر أحمد بن علي: تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج8، ص282

حيث انقسموا بين مؤيد ومعارض[1]، يكاد يتفق المؤرخون على أن دور الأتراك المؤثر والفعال في الدولة العباسية قد بدأ من مقتل الخليفة المتوكل على الله سنة 247ه ونتيجة لذلك ذهبت هيبة الخلافة واقترف الأتراك شتى الفضائح واستضعفوا الخلفاء وبذلك قد اكتسحوا أموال الدولة العباسية وتسلطوا على مقدراتها المالية، ففي عهد الخليفة المستعين «248-252ه» اتخذ أوتامش التركي وزيرا له وعمد إلى ما في بيوت الأموال[2].

استمرت الخلافة العباسية بالتدهور بعد أن أخلى الجند الأتراك دورهم القيادي للبويهيين اللذين تحولوا للإسلام، واتخذوا التشيع الزيدي[3]، مذهبا لهم مع بداية القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي.

وكان دخولهم للإسلام لأغراض سياسية وبدافع المصلحة السياسية، ذلك لأن إسلامهم تزامن مع نشاطهم السياسي في بداية القرن« الرابع الهجري/العاشر الميلادي»[4].

تبنى البويهيون سياسة مذهبية معارضة ومعادية للمذهب السني الذي تتبناه الخلافة العباسية، وذلك لدوافع سياسية واضحة، مما يعني المواجهة الحتمية بين الطرفين، مما سينعكس آثارا سلبية على المجتمع، نتجت عن النشأة الشيعية الزيدية في بلاد الديلم، فتفاقمت في عهدهم الانقسامات الفئوية القائمة على المذهبية في بغداد على وجه الخصوص.

لقد ارتكز المذهب الزيدي الذي تبناه البويهيون على مجموعة من المبادئ المذهبية، والتي تحدد نظرة الزيدية للإمامة وطبيعية الإمام.

تولى الخلافة المقتدر بالله واستوزر العباس بن الحسن الذي اقتنع بما أشار به ابن الفرات "إنه ابن المعتضد ولم نأت برجل كامل يباشر الأمور بنفسه غير محتاج إلينا[5]، إلا أن الوزير العباس بن الحسن بعد إتمام أمر المقتدر استصغره وكثر الكلام الناس، فعمل على أن يحل أمره ويقلد أبا عبد الله محمد بن المعتضد على الله، أو أبي الحسن من ولد المتوكل على

1- الطبري، محمد أبو جعفر بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ص222.
2- الطبري: المصدر السابق، ج11، ص86.
3- لمعرفة كيفية انتشار المهب الزيدي في بلاد الديلم، أنظر: الطبري، المصدر السابق، ج9، ص271.
4- المسعودي، على بن حسين أبو الحسن: مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، ج4، ص373.
5- محمود، حسن أحمد والشريف أحمد ابراهيم: المصدر السابق، ص286.

الله الخلافة، إلا أنهم ماتا ولم يتم لهما شيء، وتم أمر المقتدر، وهنا تقدر مشيئة الله ويتربع هذا الصبي على عرش الخلافة باسم وزراءه.

وبعد أربعة أشهر من خلافته، أجتمع القواد والكتاب على رأسهم أبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح الذي لم يجد عند الوزير العباس بن الحسن ما يريد لما رأى من الوزير أن أمره صلح مع المقتدر[1].

1- محمود، حسن أحمد والشريف أحمد ابراهيم: المصدر نفسه، ص290،287.

ثانيا: أوضاع مصر الداخلية:

شهدت مصر وبلاد الثورات عاتية بعد وفاة محمد بن طغج الإخشيد، فقد ثاروا إلي الأسمونيين المعروف باسم غلبون بن سعيد المغربي، واستبد بالأمور في منطقة نفوذه، ولما أنس عن نفسه القوة، زحف بغاراته على الفسطاط، فهزم جيشا إخشيديا ودخل دار الإمارة واتفق مع الوزير محمد بن علي الماذيرائي على أن يدير بنفسه الشؤون العامة، لكن الجيش الإخشيدي، بقيادة الحسن بن طغج، اصطدم به في الفسطاط وهزمه وطرده منها[1].

وثار بعض رؤساء العشائر البدوية في بلاد الشام على سلطان الإخشيديين.

السلمي في بادية الشراة في عام «352ه-963م»[2]، وازدادت الحالة الداخلية خطورة من وصلت الفوضى إلى مرحلة تغدر معها وجود وال أو أمير مدة شهر، بفعل عدم السماح كافور بتنصيب أحمد بن علي بن الإخشيد بعد وفاة أبيه، متذرعا بصغر سنة، فكان يدعي على المنابر للخلفية العباسي المطيح فقط[3].

استمرت الحالة الداخلية السيئة بعد وفاة كافور، وبدأ واضحا أن الضعف بدأ يدب في جسم الدولة الإخشيدية، ولم يكن الخليفة العباسي المطيع من القوة ما يمكنه أن يلي على مصر من يشاء، لذلك اجتمع مع رجال الدولة لاختيار شخص تتفق مع ميوله مع تطلعاتهم فوقع الاختيار على أبي الفوارس احمد بن علي بن طغج، الإخشيد، ولم يكن قد تجاوز الحادية عشر من عمره، وعين الحسن بن عبيد الله بن طغج وليا لعهده[4]، إضافة إلى الحالة الاقتصادية المتدهورة في تراجع قوة الإخشيديين، فقد شهدت مصر منذ عام «352ه/963م» حالة من الجفاف واستمرت تسعة أعوام سببها نقص فيضان النيل واقترن ذلك مع بوباء عظيم[5].

1- النويري، أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسن نصار، وعبد العزيز الاهواني، الهيئة المغربية العامة للكتاب، القاهرة، 1983م، ج8، ص50-51.

2- ابن ثغري، بردي يوسف جمال الدين أبو المحاس: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة الحرية العامة لتأليف والترجمة، ج3، ص313.

3- المقريزي: المواعظ، المصدر السابق، ج2، ص148.

4- النويري: المصر السابق، ج2، ص59-60.

5- المقريزي، إغاثة الأمة، ص12.

ثالثا: أوضاع مصر الخارجية:

نجح محمد بن طغج الإخشيد في الاستقلال بمصر وبلاد الشام في عام «327ه/939م» وأسس الدولة الإخشيدية، وكانت الخلافة العباسية أنداك تشهد تطورات شريعة، بفعل الصراع من أجل الحصول على مذهب أمير الأمراء، الذي فاز به محمد بن رائق في عام «326ه/938م»، ثم قائده بجكم، وقد تطلع ابن رائق إلى الاستيلاء على مصر وبلاد الشام ليعوض بها عن خسارته، وتمكن من الحصول على تقليد من الخليفة الراضي بحكم حلب وأعمالها[1].

ولا شك بان الخليفة كان يرى في هذا التقليد تحقيق مصلحة العباسيين القائمة على زرع بدور التفرقة بن الولاة، وتعبيرا عن رغبة الخلافة في ألا تسمح بقيام نفوذ في بلاد الشام ومصر يمكن ان يهدد مصالحها، ويبدو أن الخليفة لم يكن يطمئن لوجود الأخشديين في المناطق القريبة من العراق على الرغم من الموقف الحسن لمحمد بن طغج الأخشيد الذي يخدم المصالح العباسية، ولا يستبعد أن تكون الخلافة قد وجهت ابن رائق إلى بلاد الشام لينافس الأخشدييين ويحد من سلطتهم[2]، ونفوذهم:

ويبدو أن ابن رائق لم يخف نواياه التوسعية، فتتقدم إلى جنوب بلاد الشام واستولى على حمص ودمشق، ثم سار إلى الرملة فالعريش[3]، في محاولة لدخول مصر، وهناك اصطدم بالقوات الأخشيدية في عام «328ه/940م» لكنه هزم، وتمكن من النجاة[4].

1- ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة كمال الدين: زبدة الطلب من تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، ط1، درا الكتاب العربي، دمشق، القاهرة 1996م، ج1، ص103.

2- عبد المنعم محمد، صبحي: العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبين، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ص292-303.

3- العريش: مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام على الساحل بحر الروم والبحر المتوسط، في وسط الرمل، ينظر: الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج4، ص113-114.

4- ابن الاثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص86.

رابعا: تغلغل الدعوة الفاطمية في المجتمع المصري:

ثمة ظاهرة حقيقة وهي تمكن الفاطميين من اختراق الجبهة الداخلية في مصر، وجذب المصريين إلى الدعوة الفاطمية، والواضح أنه عندما أسس الفاطميون دولتهم في إفريقية، كانت هذه الدعوة تنشر في مصر وبعد أن المشرق الإسلامي.

وحاول الحكام الأوائل وخاصة عبيد الله المهدي والقائم، بنشرها في مصر عن طريق الدعاية وقد عمدوا في بداية دعوتهم إلى تعيين دعاة مستقرين ونشروهم في الأقاليم ذات المواقع المهمة فيما عرف بجزر الدعوة، وكانت مصر من بين أهم هذه الجزر، فقد استقر فيها أبو علي الداعي الذي ساعده عبيد الله المهدي على الهرب إلى أفريقية في عام «291ه/904م» وأسس أبو علي الداعي مدرسة في مصر عرفت بإخلاصها للفاطميين، وشجع تلامذتها عبيد الله على غزو هذا البلد وبفضل هؤلاء الدعاة أضحى في مصر عدد غير قليل من الأنصار الذين شجعوا بدورهم المعز على غزو مصر والاستيلاء عليها ويبدو أن بعض المصريين كانوا أكثر استعدادا لتقبل المذهب العلوي بسبب ميلهم لعلي بن أبي طالب والتفافهم حول واليه محمد بن أبي بكر[1].

وكان الدعاة يعلمون في مصر منذ سقوط الطولونية وزاد اهتمامهم بوجود مصر منذ قيام الدولة الإخشيدية وأن أبا الطاهر الذهلي، الذي تولى قضاء مصر عام «348ه/959م»، ناظر رسولا قدم إلى مصر من قبل الفاطميين[2].

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار المذهب الإسماعيلي، ما كان ينتهجه الحكام الفاطميون مع ولاة مصر فقد اتصل القائم بمحمد بن طفج الإخشيدي أكثر من مرة حاول استقطابه كآثاره سخطه على العباسيين[3]، وعلى الرغم من مماطلة الإخشيد في الرد على فإن حسن استقباله للرسول الفاطمي يوضع ما يكنه من تقدير للقائم والدولة الفاطمية[4].

1- ابراهيم حسن، حسن: عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعلية ومؤسس الفاطمية في بلاد المغرب، ص69-70.

2- ابن الزيات، شمس الدين أبو الفضل: الكواكب السيارة، ص63.

3- ابن سعيد، علي بن موسى المغربي: المصدر السابق، ص165-176.

4- حسن، ابراهيم حسن وشرف: عبد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص96-70.

وخاصة بعد أن تعرض لمضايقة الخليفة العباسي الراضي الذي أرسل قائده ابن رائق ليستولي على مصر منه، مما دفعه إلى إعطاء الأمر للخطباء بوقف الخطبة للعباسيين، والدعوة لأبي القاسم القائم صاحب افريقية[1].

والحقيقة أن الدعوة الفاطمية صادفت رواجا في مصر إلى الحد الذي قسم المجتمع المصري والجيش إلى طائفتين متعارضتين في التوجه المذهبي، ولولا ما ساد الدولة الفاطمية من اضطراب داخلي بسبب ثورة أبي يزيد التي شغلت الفاطميين طوال عهد القائم وشطرا من عهد إسماعيل المنصور، لظهرت آثار تلك الدعاية في وقت مبكر، وتم الاستيلاء على مصر قبل عام «385ه/969م» بزمن طويل[2]، على أن المعز أخذ يرسل جيوشه ودعاته إلى مصر، فاحتلت إحدى فرقه العسكرية بعض الواحات المصرية في عهد ولاية كافور، كما بعث نفرا من الدعاة لتهيئة الأجواء الداخلية للتغيير السياسي والمذهبي المرتقب وعلى الرغم من أن الحملة العسكرية لم تحقق أهدافها المرجوة منها.

فإن الحملة الدعائية صادفت نجاحا لاسيما بين الكافورية والإخشيدية وغيرهما، حتى أن كافور تأثر بهذه الدعاية الفاطمية وأولى احترامه وتقديره للمعز لكنه لم يرضى بزوال نفوذه[3].

هيأ هذا التغلغل الفاطمي في صميم الحياة المصرية، الجو لحدوث اصطدامات بين أنصار الفاطميين من الشيعة وبين أهل السنة بلغت ذروتها يوم عاشورا في عام «350ه أول آذار 961م»، وكان الجنود السودان والأتراك السنة يسألون من يقابلونهم:

"من ذلك؟" فإن لم يقل معاوية، ضربوه، وطاف أحد المتحمسين من السودان في الطرقات وهو يصيح "معاوية خال علي"[4]، وأضحت هذه العبارة عنوانا لتمييز بن الشيعة والسنة، وهكذا فإن الأخطار الخارجية التي واجهتها مصر، والاضطرابات العباسية، وسوء

1- ابن سعيد: المصدر السابق، ص176-166.

2- إبراهيم حسن، حسن: المصدر السابق، ص61.

1- المقريزي: المصر السابق، ج1، ص3.102

4- المقريزي: خطط، ج2، ص329.

الحالة الاقتصادية وانتشار الدعوة الفاطمية كل ذلك أولى الرأي في البلاد على الكتابة إلى المعز يطلبون منه القدوم إلى مصر[1].

المبحث الثاني: الحملات العسكرية على مصر:

أولا: حملة الجيش الفاطمي الأولى «301-302ه/913-914م»:

بدأت مخاوف الخليفة العباسي "المقتدر" بتعرض مصر للأخطار نتيجة لقيام دواة شيعية في بلاد المغرب، وعرف أن الفاطميون عازمون على احتلال هذه البلاد لذلك ولى "تكينا" على البلاد المصرية سنة 297ه، وأخذ يحذر من الفاطميين ويطلب منهم الاحتراس من المغرب.

كان لتحذير الخليفة أثره في نفس الوالي، فعين على "برقة" لاعتبارها باب مصر عاملا حازما، وبعث معه بجيوش وجموع كثيرة، وقد ترضى ذلك العامل شعب "برقة" وأحسن إليه لكن تلك البلاد لبثت أن تعرضت للغزو الفاطمي وذلك أن الوالي "توزر" للفاطميين قد بعث إليها بجيش بقيادة "حباسة بن يوسف الكتامي" وتمكن من احتلال البلاد وهزم حاميها، وارتكب فيها أفعالا شنيعة[2]، وساعد الجيش الفاطمي على الانتصار أن البلاد تعرضت للفتنة داخلية أثناء الهجوم عليها، وعزل واليها أثناء الحرب وتنافس الولاة عليها، فتمكن ذلك القائد "حباسة" من هزيمتهم وردهم جمعيا مقهورين إلى مصر سنة 300ه[3].

وقد رأت الخلافة الفاطمية أن تشغل احتلالها "البرقة" على تواصل منها للزمن على البلاد المصرية، فكلف جيش "حباسة" بهذه المهمة وأرسلت إليه مددا جديدا وصل به إلى أكثر من مائة ألف مقاتل، عدا أسطولا بلغت وحداتة مائتي مركب، اتخذت مسارها في البحر نحو الإسكندرية، حيث تمكن الفاتحون من احتلال تلك المدينة بدون مقاومة[4]، وبعد أن تجمعت

1- المقريزي: إغاثة الأمة يكشف الغمة، ص13.

2- إبراهيم حسن، حسن: المصدر السابق، ص125.

3- النويري: نهاية الأرب ، المصدر السابق،ج26، ص14-15.

4- الطبري: تاريخ الطبري، المصدر السابق، ج11، ص409.

القوات الفاطمية عند تلك المدينة، واصلت زحفها في بلاد الوجه البحري، فنزلت على مرحلة من فسطاط مصر[1]، ثم رجعت فاحتلت موضعا بين الإسكندرية والفسطاط[2].

عند بلدة تسمى مشتول[3]، واصل الخطر الفاطمي على مصر ذروته، فأرسل الوالي العباس إلى الخليفة المقتدر يستحثه ويطلب إمداده بالجنود ومن ناحية أخرى أخذ ينادي بالنفير في الشعب بالفسطاط ويجمع الناس ويحمسهم للقتال[4].

فاستجابت الرعية له، وكان خروجا لم ير مثله في الاجتماع والنشاط وحسن التنظيم، وقد التفت جموع المقاومة المصرية بجيوش "حباسة" واحتدمت المعركة بين الطرفين، وسلطت العساكر الفاطمية السيف علي رقاب المصريين فقتلوا الكثير منهم واسمر ذلك أربع أيام.

ثم طرأ عامل جديد ترتب عليه النصر لصالح العباسيين، ففي أثناء القتال وصلت نجدة السريعة من بغداد شاركت في القتال ونقلت النفوق لجانب المصري، وحملت على الجيش الفاطمي، واضطر حباسة ومن معه إلى مغادرة والفرار بالليل[5]، لاتجاه " برقة"، حيث مات أكثر الفارين قبل الوصول إلى تلك المدينة أما من سلم من جند الفاطميين فقد وصل إلى بلاد المغرب في حالة سيئة[6]، وقد قتل القائد الفاطمي قائده حباسة لما وصل إلى العاصمة الفاطمية بسبب هزيمته أمام أعدائه.

ومن الأسباب التي ساعدت على هزيمة الجيش الفاطمي منها تلك النجدة التي أتت من العاصمة العباسية، ورفعت من معنويات المحاربين وزادت من حماسهم في القتال، ومنها حسن تنظيم الجيش الفاطمي وتفاني الوالي في تهيئة وإعداده واستماتت أفراده في ميدان المعركة،

1- الكندي: الولاة وكتاب القضاة، المصدر السابق، ص270.

2- الطبري: المصدر السابق، ج11، ص109.

3- مشتول السوق: قرية بمركز بليست شرقية، أما مشتول القاضي فتتبع مركز الزقاري، ينظر: المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص90.

4- سعيد، بن غريب: صلة تاريخ الطبري، المصدر السابق، ج12، ص28.

5-سعيد، بن عريب: صلة تاريخ الطبري، المصدر السابق، ص26-27.

6- المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص98.

ومنها اختلاف حدث بين الفاطميين في بلاد المغرب وصلت أخباره إلى مسامع حباسة ودفعه إلى الانسحاب[1].

أضف إلى ذلك إلى إن الخلافة العباسية التي لم تتوانى عن مصر، وإنما أرسلت لها مددا على وجه السرعة، ثم أخذت تعد جيشا كبيرا ندجت له العساكر الكثيرة، وجعلت على قيادته مؤنسا الخادم وأمدته بالمال والسلاح وزاد المقتدر فكتب إلى عمال البلاد الشامية أن تسير مع الجيش العباسي لمحاربة الفاطميين، ثم خلع على القائد وأرسله إلى مصر[2].

لكن لم يقدر لهذا الجيش أن يلتقي بالجيش الفاطمي، فقد جاء الخبر بانهزام هؤلاء وهم في الطريق، فلما وصلوا إلى مصر وجدوا بان الجيوش المغربية انصرفت منها وعادت إلى بلادها.

وقد سارت الخلافة العباسية لانتصار جيشها، يدل على ذلك تصدق الخليفة العباسي بمئتا ألف درهم عند سماعه عن أنباء النصر[3].

ثانيا: حملة الجيش الفاطمي الثانية«306-309ه/919-921م»:

لن تيأس الخلافة الفاطمية في فشل جيشها في فتح مصر، وإنما أخذت تستعد من جديد وتراقب الفرصة المواتية لغزو البلاد المصرية وقد أعدت لهذا الغرض جيشا جديدا تصدت به تطويق البلاد المصرية ومهاجمتها برا وبحرا.

وقد أعدت الخلافة حشودا كبيرة من كتامة ومن عرب افريقية وبربرها[4]، وتولى القيادة عليها أبو القاسم القائم ولي العهد.

أما البحرية فكانت عبارة عن أسطول يتكون من مئة مركب حربية منها ثمانون طرادا وعشرون عشارى[5]، وأتت مقدمته سليمان الخادم وقد سارت الجيوش الفاطمية إلى مصر

1- الطبري: المصدر السابق، ج11، ص49.

2- سعيد، بن عريب: المصدر السابق، ص26-28.

3- نفس المصدر، ص28.

4- المراكشي، بن عذاري: البيان المغرب، المصدر السابق، ج1، ص184.

5- النويري: المصدر السابق، ج26، ص15.

وتمكنت مقدمتها من احتلال لربتة ومراقبة[1]، مما حمل أهل الإسكندرية على الرحيل منها وتركها وخرج في خمسة آلاف رجل، فسهل ذلك على العسكر الفاطمي دخول إلى تلك واحتلالها في «صفر 306ه».

وقد ظهر الجيش الفاطمي متماسك وقويا، ترامت أنباؤه إلى أهل الفسطاط فأصابهم الرعب وهجروا إلى الشام برا وبحرا، كما فر بعضهم إلى القرم والحجاز[2].

وقد زاد من صعوبة الموقف على الوالي العباسي ذكاء الأعور أن الجند في العامة ثاروا عليه، وطالبوه بمرتباتهم وعطاياهم وامتنعوا عن الخروج معه إلى الجيزة للقاء الهاجمين.

وقد حاول الوالي ترضيتهم، فدفع لهم مرتباتهم وخرج في طائفة منهم إلى الجيزة واستعد للحرب، فبنى حصنا على الحائط الغربي للمدينة، وحفر خندقا حولها لحماية عسكره لكنه مات قبل وصول الجيش الفاطمي إليه[3].

تولى بعد مجيء المدد من الخلافة العباسية، فجاء أمير الشام بعساكره نجدة للمصريين، كما أرسل الخليفة نجدة قوية وولى تكينة على مصر، ونزل الوالي الجديد إلى الجيزة وحفر خندقا ثانيا حولها[4]، وتم استعداده للقاء عدوه.

بعد ذلك أتت الجيوش الفاطمية والتقت بالجيوش العباسية وقامت معركة بين الطرفين سنة (306ه) قتل فيها 4000 فاطمي ومثلهم من العباسيين ثم تقهقر العباسيين إلى الفسطاط، واستطاع الشيعة ان يستولوا على الفيوم وعدة بلاد من الصعد، واستطاعوا ان يصلوا على الخراج منها، وان يبعدوا جند مصر عن هذه النواحي[5].

فرأت الخلافة العباسية لهذا الزحف الفاطمي وأدركت أن مصر قاب قوسين أو أدنى من الضياع، فأعدت قوة عسكرية جديدة قوامها ثلاثة آلاف جندي، جاءت إلى البلاد المصرية ورأى القائد العباسي ان خير سبيل للنصر هو ترضية الجند فاغذاهم بالمال وارتفعت معنوياتهم

1- لوبية: مدينة بين الاسكندرية وبرقة، أما مراقبة فهي اول بلد يلقاه المتجه من الاسكنديرية الى افريقية، ينظر: النجوم الزاهرة، ج3، ص186.

2 - ابن ثغري، بردي: نفس المصدر، ص196.

3- ابن ثغري، بردي: النجوم الزاهرة، المصدر السابق، ج3، ص196.

4- ابن ثغري، بردي: نفس المصدر،ج3، ص197.

5- المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص305.

فباغتت الجيوش العباسية الفاطميين واخذتهم على حين غرة، فتمكنوا من قتل عد كبير من عساكر الجيش الفاطمي وغنموا ما كان معهم، كما تعرض الجند الفاطميين إلى الأمراض والأوبئة وفقد أسطوله وحاميته بالإسكندرية، كما هزمت جنده في غيرها[1].

كل هذا حمل الأمير الفاطمي إلى الفرار من مصر إلى افريقية، حاملا كل مسهل حمله من الصناع واحرق باقية، وسار في طريق قليل المياه فمات أكثر رجاله عطشا.

وهكذا عاد القائم إلى بلاد المغرب سنة309ه بعد عامين وثمانية أشهر استغرقتا حملته دون إن تحقق نجاحا، واستعاد العباسيون سيطرتهم على البلاد المصرية[2].

تلك كانت نهاية الحملة البرية أما مصير الأسطول البحري رغم إن الفاطميين اعدوا لها العدة إلا أن الاشتباكات التي وقعت في معركة بحرية واقتتل الطرفين اقتتالا شديدا فقد انهزم الفاطميون نتيجة العوامل الجوية التي كانت في صالح المراكب العباسية فقد هبت رياح شديدة ألقت بوحدات الأسطول الفاطمي على البحر ودمرتها، واستسلم فيها، واسروا بالأيادي وقتل منهم الكثير، وكان من المأسورين أمير الأسطول نفسه ورؤساء المراكب وقد نزل للجميع الفسطاط[3].

ثالثا: حملة الجيش الفاطمي الثالثة «323ه/943م»:

صرفت الأحداث في بلاد المغرب الخلافة الفاطمية، وشغلتها عن فتح مصر بعد فشل حملتها الثانية، وآثرت أن تصرف النظر عن هذا الحدث إلى حين، وان تكرس كل جهدها لتثبيت حكمها والقضاء على الخارجين عليها.

وضل الوضع حتى سنة 323ه، حيث وجد ظرف حاول الفاطميون استغلاله والاستفادة منه في الاحتلال الديار المصرية.

وذلك بسبب أن مصر كانت في حالة فوضى بسبب التنافس والتفاعل على ولايتها، وقد نجح محمد بن طغج الإخشيد في الانتصار على منافسه وصدر مرسوم من الخلافة العباسية بتوليته على مصر، لكن ذلك لم يرق لبعض الأهالي في البلاد وأعلنوا احتجاجهم وخرجوا

1- ابن ثغري، بردي: المصدر السابق، ج3، ص186.

2- سعيد، بن عريب: المصدر السابق، ص44.

3- ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص184.

ناحية الفيوم فأرسل إليهم الوالي جيشا وتمكن من هزيمتهم وتوجه بقايا المهزومين إلى برقة وأرسلوا إلى الخليفة ولقي الطلب استجابة من جانب الفاطميين وقررت الخلافة الفاطمية إمداد الفارين بالعساكر، وأرسل الكتاميين الذين يتواجدون ببرقة ويطلبون منهم الانضمام إليهم وأمدوهم بقوات كذلك وتجمعوا وساروا إلى الإسكندرية.

بلغ ذلك الوالي محمد بن طفج فاستعد للفاطميين ومعهم الموالين من مصر وحدث الاشتباك بين الجيش الفاطمي والجيش العباسي في منطقة تروجة وآبلوق[1].

قامت بينهما معركة انهزم فيها الفاطميين وقتل عددا منهم وأسر آخر، ومنهم من نجا إلى برقة والذي وقضى على كثير من المتمردين، هكذا كان خط هذه الحملة الإخفاق، لأنها صادف واليا في مصر حازما استطاع أن يجمع الناس من حوله وأن يكون جيشا قويا بلغ خمسة عشر ألفا، ردت المهاجمين والمتمردين[2]، كل ذلك جعل الخليفة الفاطمي القائم يترك أساليب العنف والقتال ويلجأ إلى سياسة المسالمة واللين فقد يكون ذلك أجدى وأعود على الخلافة بالفائدة والنفع لذلك أرسل إلى الوالي محمد بن طفج الإخشيد يستجلب مودته ويدعوه لما فيه من منفعة[3].

لذلك أرسل له كتابا إلى محمد بن طفج الإخشيد، حيث كتب له « قد خاطبتك-أعزك الله-في كتابي المشتمل على هذه الرقعة بما لم يجز لي في عقد الدين، وما جرى به الرسم من سياسة أنصار يستجلبون، وضمنت رقعتي ما لم يطلع عليه أحد من كتابي وذي المكانة عندي، وأرجوا أن تدرك صحة عزيمتك وحسن رأيك إلى ما أدعوك إليه، فقد شهد الله على ميلي إليك، وإيثار لك، ورغبتي في مشاطرتك ما احتواه يميني، احتوى عليه ملكي، وليس بتوجه لك بالغدر في التخلف عن إجابة، لأنك قد استفرغت مجهودك في مناصحة قوم لا يريدون إحسانك، ولم

1- تروجة: محلها الآن كون تروجة تابعة زاوية صقر مركز أبي المطامير بحيرة، أنظر: ابن ثغري، بردي، المصدر السابق، ج2، ص150.

2- ابن العذارى: البيان المغرب، المصدر السابق، ج1، ص218.

3- ابن سعيد، الاندلسي: المغرب، تح: زكي محمد حسن وآخرين،ط1، جامعة القاهرة، ص175-176.

يشكرون إخلاصك، يخلفون وعدك، ويخفرون ذمتك، لن يعتقد فيهم أحد حسن المكافئة، ولا جميلا للجازع، وليس ينبغي لك أن تعدل عن منهج من نصحك.....الخ»[1].

وواضح من الرسالة أن الإخشيد قد ارتقت وارتفعت مكانته حتى خاطب وده الخليفة الفاطمي ورجاه أن ينظم إلى جانبه.

ومهما يكن من أمر فقد وقف والي مصر، إلى أن ساءت العلاقة بينه وبين الخلافة العباسية بسبب الموقف السلبي من نزاعه مع أمير الأمراء بن رائق، عندئذ فكر في أن يحول مصر فاطمية ويخطب في البلاد باسم الفاطميين، فأرسل إلى خطيب المسجد، والى الشخصيات العلوية المهمة وفاوضها في ذلك[2].

وقد انتهت المشكلة بتولي بن رائق على معظم الشام، وتولي الإخشيد مصر والرملة، وعمل كل منهما باسم العباسيين ثم مات والي الشام في حرب مع الحمدانيين فزحف الإخشيد إلى دمشق وضمها ثانية إلى أملاكه[3].

رابعا: حملة الجيش الفاطمي الرابع والأخيرة على مصر:

توقف إرسال الحملات العسكرية إلى مصر، في فترة حكم القائم(334ه/341ه)، لأن الحوادث في بلاد المغرب قد استنفذت كل مجهودات الدولة، واتت على قدراتها المالية.

كذلك اعتنى الخلفاء الفاطميون بإعداد جيوش بعثوا بها إلى المغرب الأقصى والوسط، لتعيد هذه البلاد إلى قبضتهم وتنتقم من الخارجين عليهم.

ولم يكن الخليفة الفاطمي المعز ينجح في تحقيق ذلك، وتدين له البلاد مابين برقة والمحيط الأطلسي، حتى أخذ يتوجه بنظره نحو مصر ويعمل للاستيلاء عليها، وبدأ يعد العدة لذلك سنة 355ه[4].

1- بن سعيد المغاربي، علي بن موسى: المغرب في حلى المغرب، تحقيق: زكي محمد علي، القاهرة، 1953، ص176-177.

2- ابراهيم حسن، حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، .

3- ابن ثغري، بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج3، ص120-121.

4- المقريزي: اتعاظ الحنفاء، المصدر السابق، ص138.

فأمر بحفر الآبار في الطريق من القيروان إلى مصر[1]، كما أمر باتخاذ الأماكن على طول ذلك الطريق لإراحة الجند.

وكانت أحوال مصر قد اختلطت واضطربت أوضاعها بشكل يشجع على غزوها، فقد توفي والي مصر كافور سنة 356ه، وتولى من بعده طفج على البلاد، وعاهد بالإدارة المالية لابن الفضل جعفر بن الفرات، فآذ الناس وصادر أموالهم وقبض على جماعة منهم وتعرض لثورة العساكر الإخشيدية والكافورية[2]، وطالبوه برواتبهم في الوقت الذي لم تصل فيه الأموال الخراج والضمانات إلى الخزانة[3]، كما صل في هذه الأثناء منهزما من القرامطة.

وهذا الجو السيئ في مصر حمل جماعة إلى مكاتبة الخليفة المعز لدين الله يطلبون منهم إرسال عساكره إليهم، وتخليصهم مما هم فيه من فوضى، وقد أكد دعاة الشيعة في مصر اضطراب الوضع فيها وأن الفرصة قد أصبحت مواتية لإرسال جيش إليها وقد أرسل الخليفة إلى دعاته بنودا وأمرهم بتوزيعها على من يبايع من الجند فإذا ما قربت العساكر الفاطمية نشرها[4]، فأمر قائده جوهر بان يستعد بعساكره بالتوجه نحو البلاد المصرية، فحشد عسكر عظيم من كتامة والبربر من بلاد المغرب فاستمال العساكر بالهدايا والمنح والأموال بهدف شحن الهمم، ونجح جوهر الصقلي في فتح مصر واستمر في حكم مصر نيابة عن المعز حتى سنة 362ه، وتمكن من هزيمة جيش القرامطة وفتح بلاد الشام وحول تدريجيا إلى شعائر الشيعة[5].

ولما حضر الخليفة المعز إلى مصر استقبله بحفاوة بالغة، لكن الخليفة رأى سيطرته على كل شيء، فأثر إبعاده عن مجرى الحوادث، وكان جوهر على رأس الطليعة في ذلك الجيش، واستطاع الفاطميون إحراز النصر على أعدائهم.

1- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج4، ص48.

2- الاخشيدية: مماليك الأسرة الإخشيدية وأنصارها، والكافورية: أنصار كافور الذين رقاهم الى المناصب المالية من الدولة، انظر: ابراهيم حسن حسن: المرجع السابق، ص121-122.

3- ابن خلدون: المصدر السابق، ص195.

4- المقريزي: المصدر السابق، ص146.

5- المقريزي: نفس المصدر، ص148.

يبدوا أن الأمور لم تسر في العاصمة كما أراد لها القادة أن تسير، وأخذ الإخشيدية والكافورية بعد ذهاب الوفد إلى جوهر يخرجون ممتلكاتهم ويستعدون لحرب الفاطميين وقام من في المساجد من يحمي المصريين ويحرضهم على قتال الشيعة ويذكر مساوئهم في البلاد وسفك دم أهلها وحاول القائد الفاطمي الشريف أن يهدأ من روعهم ويغريهم بالتسليم ولكن ذلك لم يجد شيئا فأصر القوم على القتال، ونظموا عساكرهم ثم ساروا نحو الجيزة للقاء الفاطميين بعد أن أعدوا للأمر عدته.

وصل جيش الفاطميين إليهم وقامت معركة اسر فيها رجال وأخذة الخيول، ثم وضع جوهر خطة للحرب والوصول إلى الفسطاط واستأمن إليه الإخشيديين وأمروه بعشاريات وسار الباقون نحو مدينة ميلية شلقان[1]، هي اليوم قرية شلقان الواقعة شريقي القناطرة الحرية.

نظر جوهر الصقلي ت 381ه فرأى تجمع أعدائه على الجانب الآخر من النهر فقرر أن يعبر إليهم مهما كله الأمر ووقع قتال مات فيه الكثير من الإخشيديين وأتباعهم، وسألوا الشريف أبا جعفر مسلم أن يتوسط لهم عند جوهر، لاعادت الأمان، فأجابهم القائد الفاطمي إلى طلبهم، وبعث رسولا معه، واطمئن الناس ومنع السلب والنهب عنهم وساعد ذلك على هدوء البلد وسكون شعبها، خاصة حين قرأ عليهم سجل الأمان الذي بعث جوهر إليهم، وكذلك السجل وحدة المسلمين ورسم صورة لحال الدولة العباسية في ذلك الوقت، وحدد الأهداف والمقاصد التي بعثت الفاطميين على فتح البلاد ووضح سياستهم ومذهبهم الديني، واحترامهم عقائد المسلمين ومشاعرهم ودعا الناس إلى تقوى الله إلى الحلف ونشر العدل[2].

ظل جوهر حريصا على مشاعر الناس في مصر، وتدرج في عملية قلب البلاد إلى بلاد شيعية، وجعل ذلك على مراحل، بدأت بذكر اسم الخليفة المعز في الخطبة، وانتهت بإقامة الشعائر الفاطمية في الصلاة والآذان بجامع ابن طولون سنة 309ه، ثم جامع مصر العتيق عمر بن العاص[3].

1- مدينة الشلقان: هي اليوم قرية شلقان الواقعة شرقي القناطر الخيرية مركز قليوب، انظر: النجوم الزاهرة: المصدر السابق،ج4، ص31.

2- المقريزي: اتعاظ الحنفاء، المصدر السابق، ص148-154.

3- ابن حلكان: وفياة الأعيان، المصدر السابق، ج1، ص329.

وبعث جوهر الصقلي إلى المعز يبشره بالفتح وأزال شعار العباسيين ثم وضع مكانه شعار الفاطمي الأبيض، وصك العملة باسم الخليفة الفاطمي[1]، واستمر القائد الفاطمي بتتبع أعداء الفاطميين من الإخشيديين والكافوريين، فقتل الكثير منهم، وبذلك استطاع الفاطميون أن يطهروا البلاد من أعدائهم وأن يقضوا على كل المخالفين لهم.

وهكذا نجحت هذه الحملة في إسقاط الخلافة العباسية في مصر، وحولتها إلى ولاية فاطمية تدين بالولاء للخليفة الشيعي المعتصم في بلاد المغرب وستبقى مصر على هذا الحال مدة لا تتجاوز أربعة أعوام، تصبح بعدها كلها للخلافة الفاطمية، ومركز الحكم الفاطمي الشيعي، وذلك عنه ما ينتقل إليها الخليفة الفاطمي، ويجعل مقر حكمه فيها سنة 362ه.

من أسباب نجاح هذه الحملة في مهمتها هو استقرار الحكم الفاطمي في بلاد المغرب فقد دانة كل قبائله وبلاده للمعز لدين الله، حتى هؤلاء الذين استعصوا على سابقيه مثل بني كملان، ومليلية أتوه طائعين[2].

وليس من دون شك أن هذا الاستقرار جعله يفرغ لفتح مصر ويوجه ما تحت يديه من إمكانيات مادية وبشرية هامة وعسكرية لهذا الفتح.

أعد الخليفة العساكر الجرارة والجيوش الكثيرة التي تجاوز عددها المائة ألف، ووجد من وصفها بأنها مثل جبل عرفت كثرا وضخامة[3]، إضافة إلى اهتمام الخليفة بنفسية الجند من خلال إغرائهم بالأموال والعطايا وتوفير الظروف المساعدة لرفع من هممهم[4].

المبحث الثالث: التوسع الفاطمي في بلاد الشام:

كانت السيطرة على بلاد الشام تمثل دعامة سياسية وعسكرية لكل نظام حكم مصر، وقد أشرنا من قبل إلى الصراعات بين الأمراء المسلمين للسيطرة على هذا البلد، ولما استقر

1- بن حلكان: المصدر السابق، ج1، ص332.

2- بن ظافر، جمال الدين ابو الحسن علي بن ابي منصور ظافر الأسدي: أخبارالدول المنقطعة، تح: آندرية فرية، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1972م، ص99.

3- المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص139.

4- بن حلكان: المصدر السابق، ج1، ص260.

جوهر الصقلي ت381ه في مصر، تطلع إلى التمدد باتجاه بلاد الشام للسيطرة عليها وتحقيق ضرورة دينية وسياسية وعسكرية .

فمن حيث الضرورة الدينية قرر جوهر الصقلي نشر الدعوة الفاطمية في بلاد الشام وما ولاها من الأقاليم الشرقية، ومن حيث الضرورة السياسية، فقد خشي جوهر الصقلي من أن يقدم العباسيون على الانتقام، بسبب استيلائه على أخصب وأغنى ولايات الخلافة العباسية، وهي مصر، فأراد أن يجعل بلاد الشام حاجزا بينه وبين تلك الخلافة.

ومن حيث الضرورة العسكرية، يبدوا أن جوهر الصقلي أراد تأمين حدود مصر من ناحية الشمال الشرقي، واتخاذ بلاد الشام قاعدة انطلاق للقضاء على القرامطة الذين اجتاحوا هذه البلاد[1].

أولا: الحملة الفاطمية على الرملة:

جهز جوهر الصقلي ت381ه، منذ مطلع عام « 358ه/أواخر 969م »، جيشا كثيفا، وعين على رأسه مساعده الكتامي جعفر بن فلاح، وأرسله إلى بلاد الشام، حيث عقد الحسن بن طفح، والي الشام معاهدة مع القرامطة.

سار جعفر بن فلاح يوم«18 محرم/1 كانون الأول» إلى الرملة التي كانت تحت سيطرت الوالي الإخشيدي، ولما وصل إليها، انتهز فرصة الفوضى السائدة فيها والخلافات الناشئة بين القادة الإخشيديين فعزل حاميتها كما كاتب ولاة الأقاليم يدعوهم الى طاعة المعز، ويعدهم حسن المكافئة[2].

استعد الإخشيديين إلى هذه الحملة في بلاد الشام، بعد أ، وصلت أنباؤها إلى مسامعهم، فخرج الحسن بن طفج من دمشق قاصدا الرملة، ولما وصل اليها هاله ضخامة القوات الفاطمية[3]، ورأت القوات الإخشيدية والقرمطية المقيمة على الرملة أنها عاجزة عن مقاومة الجيش الفاطمي مما حلت بهم الهزيمة ووقعوا في الأسر وسيطرة جعفر بن فلاح على الرملة[4].

1- المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص120.

2- المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص120.

3- الأنطاكي، يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي، تح: عمر عبد السلام تدمري، جروس طرس، طرابلس، 1989م، ص143.

4- المقريزي: المصدر نفسه، ص123.

ثانيا: حملة الفاطميين على دمشق:

إن الانتصار الذي حققه جعفر بن فلاح في الرملة جعله يتوغل في عمق الأراضي الفلسطينية، وذلك في شهر «رجب 359ه/ أيار – 960م»، فسار إلى طبرية بعد إن استخلف ابنه على الرملة، واستولى عليها دون مقاومة ويبدوا أن واليها فاتك غلام ملهم، وجد نفسه عاجزا عن صد القوات الفاطمية، فلم يتعرض لها، وأقيمت الخطبة فيها للمعز[1]، وواصل جعفر بن فلاح زحفه باتجاه دمشق واستولى عليها وفي طريقه على حوران والبيئينة، واستطاع أن يضرب قبائل المنطقة يبعضها، ثم نزلوا بظاهر دمشق[2]، وبدأت سيطرت الفاطميين واضحة على جنوبي بلاد الشام.

أدى هذا الانتشار الفاطمي فوضى في دمشق وخاصة بعد فرار الوالي شمولة والتجائية إلى جعفر بن فلاح، وكان سكان دمشق يكرهون البربر، ويكنون العداء الفاطميين إلا أنهم خشوا بأس القائد الفاطمي، فأرسلوا إليه جماعة من وجوههم للقائه عند طبرية لطلب الأمان والموادعة[3].

ولما نزلت قوات جعفر بن فلاح بظاهر دمشق في « شهر ذي الحجة 309ه/تشرين الأول 460» واجهته مقاومة مستميتة، إذ صمد السكان بضعت أيام، لمعاونة الإخشيديين، وتزعمهم أبو القاسم إسماعيل بن أبي يعلي العباسي وجرى قتال أمام باب المدينة ولكنهم هزموهم واضطروا إلى الاستسلام.

ودخل جعفر بن فلاح المدينة يوم «الجمعة 16 ذي الحجة / 20 تشرين الأول» وصلى بجامع عمر ثم عاد إلى معسكره خارج السور[4]، وعامل الجنود المغاربة أهل دمشق معاملة قاسية، وقتلوا منهم خلقا كثيرا، كما نهبوا المدينة واحرقوا أسواقها، فخرج بعض المشايخ إلى جعفر بن فلاح وطلبوا منه العمل على إصلاح مدينتهم وإعادتها إلى ما كانت عليه، فقبض

1- المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص123.

2- المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص123.

3- المقريزي: المصدر السابق، ص123.

4- المقريزي: المصدر نفسه.

عليهم الجنود المغاربة وسلبوهم ثيابهم، وجرحوا بعضهم وطلب منهم جعفر بن فلاح «دية من قتل من رجال أمير المؤمنين»[1].

1- المقريزي: نفس المصدر.

الفصل الثالث: نتائج الانتقال الفاطمي من المغرب إلى المشرق.

أولا: على المستوى السياسي:

ثانيا: على المستوى الاجتماعي:

ثالثا: على المستوى الاقتصادي:

رابعا: على المستوى الديني:

خامسا: على المستوى العلمي والثقافي.

الفصل الثالث: نتائج الانتقال الفاطمي من المغرب إلى المشرق.

بعد أن فرض الفاطميون سيطرتهم على مصر، بدأت أنظارهم تتجه نحو بلاد الشام، لتأمين الحدود المصرية في جهة الشرق ولانتزاع الشام من سلطان الخلافة العباسية، وجعلها قاعدة لنشر دعوتهم الشيعية، كما إن سيطرت الفاطميين على بلاد الشام تكسبهم عطف عامة المسلمين من خلال مواجهة الروم في الجبهة الشمالية للشام.

أعد القائد جوهر الصقلي ت381هـ جيشا كبيرا أرسله إلى بلاد الشام بقيادة جعفر بن فلاح أواخر سنة «358هـ/969م» ووصل الرملة وسيطر عليها عنوة بعد مقاومة كبيرة مع سكانها وقام باستباحتها هو وجنده وقتل كثير من أهلها واستخلف ابنه عليها، ثم توجه إلى طبرية وسيطر عليها وهي تحت حكم الإخشيديين ونجح في دخولها وإقامة الدعوة الفاطمية فيها دون قتال.

أولا: على المستوى السياسي:

1-جانب الإمامة:

الإمامة هي أصل جميع القوانين والنظم في الدولة الفاطمية في مصر، وكلمة إمامة التي كان يستعملها الشيعة عامة والفاطميون خاصة لها مدلول كلمة الخلافة التي كان يستعملها الأميون والعباسيون[1].

الإمام الأول عندهم هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ويسمونه إماما تشبيها له بإمام الصلاة في وجوب إتباع الناس له والاقتداء به، ولهذا هم أيضا يسمون الخلافة بالإمامة الكبرى تمييزا لها عن الإمامة الصغرى وهي إمامة الصلاة والإمامة هي الأساس الذي تدور حوله الفكرة التي تقوم عليها الدولة الفاطمية الإسماعيلية مذهبا ومجتمعا[2].

1 –سمير، عبد الوهاب الحباشنة: ديوان الانشاء الافاطمي وجهودة الكتابية، رسالة ماجستير جامعة مؤتة، الأردن، 2008م، ص4.

2– جمال الدين، الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرةن 2002م، ص21–22.

والإمامة عندهم لا تنتقل من أخ إلى أخيه بل من الأب إلى ابنه ولذلك عند موت إسماعيل بن جعفر 145هـ/663م، في حياة أبيه جعل النص ينقل الى أبنه محمد وليس لأخيه إسماعيل المعروف بموسى الكاظم، ولذلك عرفت بالإسماعيلية وكانت دعوتها سرية[1].

فقد قامت الإمامة الفاطمية على أساس فكرة تقديس للإمام وعصمته، ومن ثم نرى أتباع الفاطميين يخلعون على خلفائهم صفات التقديس مما لم يوصف به خلفاء بني العباس[2].

هناك طائفة أخرى تسمى الغلات تجاوز حد العقل في الإيمان بالقول بألوهية هؤلاء الأئمة إما أنهم بشر اتصفوا بصفات الالوهية، أو أن الإله حل في ذاتهم البشرية وهو قول بحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى عليه السلام[3].

وقد عمل الفاطميون على تأسيس مدارس خاصة لتعليم عقائد مذهبهم، وكان لها الأثر في الترويج لفكرة تقديس الأئمة في كثير من أرجاء العالم الإسلامي، كمصر واليمن وفارس والهند بل توغلت في بلاد الأندلس التي كانت آنذاك تحت نفوذ الأمويين السنيين وكان الخلفاء الفاطميون يلقبون بألقاب كثيرة منها: الخليفة الفاطمي أو العلوي أمير المومنين[4].

والولاية عند الاسماعليين هي اعتقاد ووصاية علي، وامامة الائمة المنصوص عليهم من ذرية علي بن ابي طالب وفاطمة عليهما السلام، ووجوب طاعتهم فطاعة الله عز وجل مقترنة بطاعتهم كما يعتقدون أن الدين وعلومه وقف على الائمة من أهل البيت، ويزعمون أن لكل نبي وصايا يوكل اليه أمر المومنين بعد النبي صل الله عليه وسلم، وان الله تعالى يوحي الى النبي بالاعلان عن الوصي الذي اختاره الله تعالى، فكان وصي آدم هابيل، ووصي نوح ابنه سام، ووصي إبراهيم إسماعيل، ووصي موسى أخاه هارون، ووصي المسيح شمعون الصفا[5].

1- الشهرستاني، عبد الكريم بن محمد: المصدر السابق، ج1، ص171.

2- سمير، عبد الوهاب: المرجع السابق، ص6-7.

3- ابن الخطيب، ابي عبد الله السلماني: المرجع السابق.

4- سمير، عبد الوهاب: الحباشة، ديوان الانشاء الفاطمي وجهوة الكتابية، المصدر السابق، ص6-7.

5- الخطيب، محمد بن أحمد: الحركات الباطنية في الاسلام، مكتبة الاقصى، عمان،1984، ص100-103.

يعد الخليفة رأس الدولة فهو قائد الجيش ورأس السلطة التنفيذية وهو القاضي الأعلى ويتولى ديوان المظالم أحيانا وتعيين الوزراء والولاة والأمراء وسائر الموظفين ويسمى قاضي القضاة وكاتب العدل والشهود وغيرهم وهو صاحب الحق بالثواب والعقاب، والحث على الجهاد ويستعرض الجيوش البرية والبحرية[1].

2-جانب الوزارة:

الوزارة هي نظام متعارف عليه في الدول الإسلامية في العصور الوسطى، وهي من أصل ساساني ومن المعروف أن خلفاء بني العباس هم أول من اتخذ الوزارة لإدارة شؤون دولتهم حين اتخذوا هذا المنصب عن الفرس وتسمى الوزارة عند الفاطميين رتبة في الدولة الفاطمية، كانت الوزارة في أرباب السيوف تارة وفي أرباب الأقلام تارة أخرى[2].

وكانت الوزارة تنقسم إلى وزارة تنفيذية ووزارة تفويضية، ويكون الوزير في النوع الاول منفذا لأوامر الخليفة لا يعقد أمرا أو يبرمه إلا بعد استشارته[3]، وسادت في العصر الفاطمي الأول « 358هـ/365هـ/968م/965م »، حيث كان الخلفاء يتمتعون بالقوة ومن أشهر وزراء هذا العصر يعقوب بن كلس وأبو الحسن علي بن جعفر بن فلاح[4]، الملقب بوزر ذي الرياستين[5].

أما النوع الثاني يكون الوزير مفوضا من قبل الخليفة بمباشرة أمور الدولة، أي يتولى بنفسه الحكم دون الخليفة، ولا يكون هذا الا في فترات ضعف أو عندما يكون الخلفاء أطفالا صغارا أو شخصيات ضعيفة[6]، ولاسيما في العصر الفاطمي الاخير «

1- سمير، عبد الوهاب: الحباشة، المرجع السابق، ص9.

2- السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمان: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: ابو الفضل ابراهيم، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1965،ج2، ص130.

3- جمال الدين، الشيان: مجموعة الوثائق الفاطمية، المرجع السابق، ص142.

4- علي بن جعفر، بن فلاحك آخر وزراء الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله قاد الجيش الفاطمي باتجاه الشام، قتل على يد فارسان متنكران بالقاهرة سنة 459هـ/1019، ص85.

5-سمير، عبد الوهاب الحباشة: المرجع السابق، ص47.

6- جمال الدين، الشيال: المرجع السابق، ص142.

465هـ/567هـ/1072م/1161م »، ومن اشهر وزرائها أبو علي الحسن بن أبي سعيد التستري، وأبو محمد اليازوري على بن عبد الرحمان[1].

ذكر القلقشندي في كتابه صبح الاعشى في صناعة الانشا، اما الوزارة كانت تارة تامة وتارة وساطة وهي رتبة دون الوزارة، وأول من خوطب بالوزارة هو يعقوب بن كلس وزير العزيز وأول وزرائهم من عظماء أرباب السيوف بدر الجمالي وزير المستنصر وآخرهم صلاح الدين بن يوسف أيوب[2].

لما توفي الوزير بن كلس سنة«380هـ/995م» استبدلت صفة الوزارة بصفة الوساطة والسفارة وأطلقت على من تولو شؤون الدولة العليا بغية عهد الخليفة العزيز ومعظم عهد الخليفة الحاكم بامر الله، ولقب رؤساء الدولة يومئذ بمختلف الالقاب التي عدقتها الدولة الفاطمية على رجالها[3].

في أواخر عهد المستنصر بالله حدث انقلاب في خطة الوزارة وانتقلت من أيدي الوزراء المدنيين أو أصحاب الأقلام كما ينتمون الى الوزراء العسكريين أو رجال السيف ذوي السلطان المطلق، وذلك عندما قصر النيل في فيضانه وحلت بالبلاد المجاعة الخطيرة التي دامت سبع سنين واضطربت أمور البلاد وسادت الفوضى وأتى بدر الجمالي[4]، وأعاد النظام الى ربوع مصر وسيطر على الوضع فيها وأصبح هو صاحب السلطان وتتابع من جاء بعده من وزراء على هذا الحال حتى نهاية الدولة لذلك سمي الشطر الثاني من العصر الفاطمي بمصر الوزراء العظام[5].

1- سمير عبد الوهاب، الحباشة: نفس المصدر، ص9.

2- القلقشندي، أحمد أبي العباس: صبح الأعشى في صناعة الانشاء، المصدر السابق، ج3، ص489.

3- محمد عبد الله، عنان: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ط3، دار الخناجةن القاهرة، 983م، ص330-331.

4- بدر الجمالي: بدر بن عبد الله الجمالي أبو النجم أمير الجيوش المصرية ووالد الملك الفضل شاهنشاه، أصله من أرمينيا اشتراه جمال الدولة بن عمار غلاما ونسبه اليه، تولى امارة دمشق للمستنصر الافطمي سنة 455هـ/1063م، ثم استدعاه الى مصر واستعان به لاخماد فتنة نشبت، ثم قلده وزارة السيف والقلم وأصبح الحاكم في دولة المستنصر، ينظر: عبد الحي، بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: الأرناؤوط ، دار بن كثير، بيروت، ج5، ص379.

5- جمال الدين، الشيال: المرجع السابق، ص143.

ثانيا: على المستوى الاجتماعي :

عرفت الحياة الاجتماعية بمصر في العصر الفاطمي مظاهر خاصة، فقد اتسمت بالبذخ والترف، وقد تجلى بذخ الخلفاء بما ذكره المقريزي في كتابه الخطط المقريزية عن خزائن الفرش والأمتعة والجواهر والخيام والشراب، وأيضا من القصور التي بنوها يتخذوها مساكن لهم ولأسرهم، ومن أشهرها القصر الشرقي الكبير وكان به عدت أبواب، ومنها: باب الذهب تعلوه المنبرة، وباب العيد وأمامه رحبة متسعة ويقف فيها الجنود في يومي العيدين، وتعرف برحبة العيد، وباب الديلم، وقد أسس العزيز بالله بهذا القصر قاعة الذهب التي يجتمع فيها مجلس الملك.

وكان الوزراء الفاطميون يعيشون عيشة الترف، فجعل يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله في قصره مطابخ خاصة له ولأضيافه، وأخرى لغلمانه وحاشيته وأتباعه، كما اتخذ طائفة من الحجاب يلبسون الملابس الحريرية ويتقلدون السيوف[1].

كما أنشأ الخلفاء ووزرائهم العديد من المناظر لينتقلوا إليها في ضواحي القاهرة والفسطاط للاسترواح والاستجمام وخاصة أيام زيادة النيل التي كان ينتقل فيها الخليفة إلى منظره اللؤلؤة على الخليج[2][3]، وكان الناس يومئذ يخرجون لمشاهدته، فيكون كيوم العيد إضافة دور مختصة بالأفراح والأعراس[3].

وبشكل عام كان الترف والبذخ في المجتمع نتيجة وفرة المحاصيل والإنتاج الزراعي، ازدهار التجارة كان له أثر كبير على الحياة والمجتمع وسلوك الأفراد، بالإضافة إلى ما أشاعه الفاطميون من عادات ومظاهر سلوكية وإفراط في الطعام والشراب والتفنن في اللباس[4].

1- محمد، جمال سرور: المصدر السابق، ص143.

2- المقريزي: المواعظ، ص170.

3- محمد، جمال سرور: نفس المصدر، ص144.

4- محمد، زغلول سلام: المرجع السابق، ص150.

ونالت الطبقات الكادحة من عامة الناس نصيب من الثراء، ورفاهية من الخلفاء في الوقت التي عانت فيه من الفقر في أوقات النكبات والمحن التي حلت بالبلاد، كما اهتم الفاطميون بالاهتمام بالأعياد الدينية في شيء كثير من الأبهة والعظمة فمنها عيد الفطر وعيد الأضحى، ورأس السنة الهجرية، ومولد النبي–صل الله عليه وسلم– ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ومولد الحسن والحسين، والسيدة فاطمة الزهراء عليهم السلام، ويوم عاشوراء[1]، والاحتفال بوفاء النيل[2]، وليلة أول رجب، وليلة أول شعبان، والنصف من شعبان[3]، كذلك كان الخلفاء الفاطميون يؤكدون قيمة الاحتفالات الشعبية التي كانت تصحب بعض الأعياد القبطية بحضورهم لها، مثل « عيد الميلاد » و« الغطاس »، «خميس العهد » الذي كان مناسبة تضرب فيه الحكومة الفاطمية قطعا صغيرة ذهبية تسمى « خراريب الذهب »[4].

كانت هذه الأعياد فرصة للإعلان عن عظمة دولتهم بما يظهرونه من بذخ، وبما يوزع من الملابس على الموظفين في الدولة من السروال إلى العمامة، مما لم يحدث له مثيل من قبل، فقد انشئوا دارا خاصة بتوزيع الكسوة حتى عيد الفطر سمي عيد الحلل بسبب ما يوزع فيه من ملابس على رجال الدولة وغيرهم، وكان للخليفة لباس خاص به لكل مناسبة، وكان الشعب المصري يستقبل هذه المواسم بمظاهر الفرح والسرور إلا يوم عاشوراء فقد كان يعتبر يوم حزن عام، تعطل فيه الأسواق، ويخرج المنشدون إلى جامع الأزهر ليلقوا الأناشيد في رثاء

1– يوم عاشور: أو عيد عاشوراء، عيد اتخذه الشيعة يوم عزاء وحزن على الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام، لأنه استشهد فيه، أنظر: المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المصدر السابق، ص190.

2–وفاء النيل: يوم فتح الخليج في العاشر من آب وأيلول الى العشرين من تشرين الأول والثاني، حيث يرتفع منسوب المياه في الشتاء، وتكون النزاع والجداول مسدودة في كل البلاد، ويحضر الخليفة الى النهر الذي يسمى الخليج والذي يبدأ قبل مدينة مصر ثم يمر بالقاهرة وهو ملك خاص بالخليفة، وهذا اليوم من أعظم الاعياد في مصر، ينظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص330.

3– حسن، ابراهيم حسن: الفاطميون في مصر، الطبقة الأميرية، 1932، ص284.

4– عبد المنعم، ماجد: المرجع السابق، ص285.

الحسين عليه السلام ويعمل فيه السماط[1]، المسمى سماط الحزن، وكان يقدم عليه خبز الشعير والعدس والجبن، ويحضره الخليفة ملثما مرتديا الثياب القاتمة[2].

أما سكان مصر فكانوا أخلاطا من الناس مختلفة الفئات من قبط وروم وعرب وبربر وأكراد وديلم وأرمن ومن الحبشة وغير ذلك من الأصناف والأجناس على حسب اختلافهم[3] .

فعندما دخل الفاطميون إلى مصر اصطحبوا معهم عناصر متعددة استعانوا بها في توطيد سيطرتهم ومد نفوذهم، أولهم الفيهر المغربي الذي دخل مع جيش جوهر الصقلي وكذلك مع المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر، الذين سكنوا في القاهرة، وكذلك العناصر الأجنبية التي سكنت في الحصوة الفاطمية كالعنصر التركي والديلم والمنعر الأسود الذي استكثر منه الخليفة المستنصر[4].

ثالثا: على المستوى الاقتصادي :

1- الزراعة:

اهتمت الخلافة الفاطمية بكل ما يتعلق بشؤون الأرض، فقد كانت الزراعة عصب الاقتصاد المصري، فقد وجه القائد جوهر عناية إلى تجديد ما فسد من جسور وقناطر وضاعف ضريبة الخراج وزاد قيمته قبالة الأراضي بغرض سد حاجته للمال لتغطية نفقاته مباشرة.

عملت الخلافة الفاطمية على استحداث قصبة لقياس مساحة الأراضي، عرفت بالقصبة الحاكمية وأصبحت المقياس المعترف به، حتى بعد سقوط دولتهم، وقامة الدولة

1- السماط: مابسط على الأرض لوضع الاطعمة وجلوس الآكلين، ينظر: ابن ثغري: المصدر السابق، ج4، ص101.
2- المقريزي: المواعظ، المصدر السابق، ج1 ص490.
3- سلام: الادب في العصر الفاطمي، ج1، ص144.
4- سيد: الدولة الفاطمية في مصر، ص365.

بإصدار مرسوم سنة «497هـ/1103م» يفرض الجباية حسب السنة القمرية عوضا عن السنة الشمسية، الاقتطاعات فقد كانت ضئيلة في عهد الدولة الفاطمية إلا أنها تضاعفت في آخرها، نتيجة سيطرت رجال الجيش وقت ضعفها[1].

كانت مصر تشتهر بإنتاج الفواكه كالكروم والنخيل، كما اهتمت بغرس أشجار الغابات حتى يتيسر لها الحصول على الأخشاب لبناء أسطولها الحربي وسفنها التجارية[2]، كما اهتم الفاطميون بزراعة الأشجار في أصيص ووضعوها فوق أسطح المنازل، كما زرعوا الرمان والتفاح والسفرجل والورد والريحان والزهر وكانت تزرع أشجار أما بالأصيص أو بعد نزعه منها من غير أن يتضرر الشجر من هذا، شهدت البلاد في بعض الأوقات أزمات أثرت في الإنتاج الزراعي كنقص النيل في عهد المستنصر بالله وأيضا الشدة العظمى التي استمرت سبع سنوات وما كان من مظاهرها إهمال الزراعة وارتفاع الحبوب والمواد الغذائية وانتشار الأوبئة[3].

عنيت الخلافة الفاطمية بالترع والجسور فزاد خراج مصر أيام بدر الجمالي أكثر من ثلاثة ملايين دينار[4]، كما أقام الفاطميون إدارة خاصة تشرف على أمور الزراعة وأقاموا مشاريع عظيمة التنظيم ري الأرض كمشروع الخليج الذي يخرج من النيل لري الأراضي الواقعة شرق فرع دمياط[5].

2- الصناعة :

أولت الخلافة الفاطمية اهتماما كبيرا بالصناعة وكان جهودها في هذا المجال كبيرا مما يدل على فهم واسع لمسائل الاقتصاد في عصرها[6]، استخدم الفاطميون أساليب جديدة في

1- عبد المنعم، ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1994من ص246-247.
2- محمد جمال، سرور: ظهور الدولة الفاطمية وسقوطها في مصر، دار الفكر العربي، المصدر السابق، ص.145
3- المقريزي: المصدر السابق، ج1 ، ص100.
4- المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص100.
5- محمد جمال، سرور: المرجع السابق، ص186.
6- عبد المنعم، ماجد: المرجع السابق، ص250-251.

الصناعة ومما ساعدها في ذلك الاستقرار في البلاد فظلا عن حياة الترف والبذخ التي سادت المجتمع في بعض المدن المصرية وبخاصة في القاهرة والفسطاط, وكان لهذه الحياة تأثيرا كبيرا في الإنتاج الصناعي, وازدهرت الصناعات في العصر الفاطمي وخاصة صناعة النسيج, فقد امتازت بلدة القيس[1]، بصناعة المنسوجات الصوفية الرفيعة, وكانت بعض المنسوجات تصدر إلى بلاد الفرس حيث عرفت هناك باسم المصري[2], كما انتشرت صناعة العمائم الدبيقية الطويلة التي يبلغ طول الواحدة منها ذراع و ظلت منذ عام «365 هـ /965 م » إلى عام « 385 هـ /995 م », إضافة إلى الثياب الرقيقة المهلهلة كأنها منخل وهي المسماة بالقصب وكان هذا القصب يلون وكان الملون من نسيج في تنيس[3], كذلك القماش الحريري الموشح « ديباج » حيث كان له دار كبرى في القاهرة تعرف بدار الديباج[4].

هناك نوع جديد من القماش ذكره ناصر خسرو وهو « البوقلمون» كان ينسج في تنيس وتصنع منه أستار هوادج الجمال وسرج الخيل الخاصة بالسلطان، إضافة إلى صناعة المنسوجات الكتانية وصناعة الزجاج والخزف وكانت الفسطاط من أكثر المراكز صناعة للزجاج[5] .

كما اشتهرت تنيس بصناعة آلات الحديد كالمقراض والسكاكين, وكان بمصر سوقا يسمى سوق القناديل تضع فيه أدوات كالأوعية والأمشاط ومقابض السكاكين, وكان هناك أنياب الفيل أحضرت من زنجبار واحضر جلد البقر الوحشي لصنع النعال, وتنتج مصر عسلا وسكرا وكذلك الفخار بكل أنواعه حيث تصنع منه الكؤوس والقداح والأطباق وغيرها, كذلك

1- القيس: كورة في مصر غربي النيل بعد الجيزة، سمية قيسا لأن فتحها كان على يد قيس بن الحارث المرادي فسمية به، ينظر: الحموي: معجم البلدان ، ج4 ، ص422.

2- محمد، جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص138.

3- تنيس: جزيرة في مصر قريبة من بحر دمياط، اشتهرت بصناعة الاقمشة الملونة، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج2 ، ص51.

4- عبد المنعم، ماجد، المرجع السابق، ص254.

5- محمد، جمال سرور: المرجع نفسه، ص139.

يستخرجون من بذور الفجل واللفت زيتا للمصابيح يسمى « الزيت الحار», ويصنعون زيت السمسم وزيت الزيتون [1].

3- التجارة:

عرفت مصر ازدهارا قبل العصر الفاطمي في النشاط التجاري بسبب نشاط التجارة مع الهند والصين والتي تحولت عن طريق الخليج الفارسي منذ أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي, وبذل الفاطميون جهدهم في المحافظة على هذه التجارة التي أصبح المغرب يحكم مركزه الوسيط همزة وصل بين اسبانيا وبلاد أوربا و بين مصر[2].

ومن عوامل النهضة الاقتصادية في أيام الفاطميين بناء القاهرة بجوار الفسطاط , ونمت المدينتان معا وأصبحتا مركزا اقتصاديا مهما, فقد تميزت تلك المدينتان بتوافر جميع وسائل الحياة, و كانت أسواقها مملوءة بكل ما في العالم من المنتجات النادرة منها والثمينة، فهي تفيض بالبضائع التي تأتيها من جميع أنحاء العالم[3].

وقد كانت الفسطاط من أعظم المراكز التجارية بسبب موقعها على النيل وكانت تصل لنيل بكافة إنحاء البلاد, وفي البادية لم يؤثر إنشاء القاهرة كثيرا على الفسطاط لان القاهرة ظلت أشبه بمعسكر للجنود والموظفين فترة من الزمن, كما إن موقعها على النيل من دون الفسطاط مما جعل أسعار الفسطاط اقل من القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية[4].

وكانت الإسكندرية أهم مراكز التجارة الخارجية في العصر الفاطمي, فقد كان يصدر منها معظم المنتجات المحلية والواردات الآسيوية وترجع أهميتها إلى تصدير غلاة الشرق أكثر

1- حسن، حضري أحمد: علاقة الفاطميين بمصر بدول المغرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص105.

2- حسن، حضري أحمد: علاقات الفاطميين بمصر بدول المغرب، المرجع السابق، ص105.

3- عبد المنعم، ماجد: المرجع السابق، ص250-251.

4- حسن، حضري أحمد: المصدر السابق، ص99.

من غلات مصر[1], وكانت تصدر مع دمياط المنتجات إلى بلاد الروم والفرنجة وعيذاب ميناء على البحر الأحمر, وكانت قوص في أقصى الصعيد مركزا هاما للتجارة في جنوب مصر وبنيت فيها دار للسكة الذهبية, فقد كانت قريبة من مناجم الذهب في النوبة [2].

وكانت مصر تجني أرباحا وافرة من تجارة المحيط الهندي والعلاقات التجارية مع القسطنطينية[3], كما كانت تصدر إلى بلاد فارس مختلف أنواع الأقمشة من الديبيقي والشرب والقصب[4], ويبدوا ازدهار التجارة في مصر في عصر الفاطميين من التعابير المختلفة التي ظهرت في أيامهم تدل على أماكنها, مثل فندق, وخانة, وبازار, ودار الوكالة وقيسارية وهي مجموعة من المباني العامة وبها حوانيت ومصانع ومخازن ومساكن, وكان فيها مساجد لتجار المسلمين ويعلوها رباع يقيم فيها التجار والصناع باجر[5], فمثلا الفنادق تعني مكان التجار الأجانب وتتكون من غرف مختلفة وصحن مكشوف ومخازن, وانتشرت انتشارا كبيرا في كل مكان في مصر.

ولعل أهم أنواع التجارة في عهد الفاطميين في مصر هي التوابل التي كانت تنقلها مصر من الهند أو الصين, كانت معظم أسواق مصر مبلطة واغلبها مغطى بالسقائف وبعضها يضاء ليلا إلا في زمن الحاكم بأمر الله الذي أمر بإضاءة الشوارع والأسواق والحوانيت والمحال بمصر والقاهرة ليلا[6], وذكر خسروا مالا يقل عن عشرين ألف دكانا .

أما عن تنظيم المعاملات التجارية فقد بادر جوهر الصقلي إلى سك دنانير جديدة أطلق عليها المعزية وابقى التعامل بالدينار الراضي « نسبة الى الخليفة الراضي », ولما عهد

1- عبد المنعم، ماجد: المصدر السابق، ص251.

2- ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، ص250-251.

3- محمد، جمال سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، المرجع السابق، ص143.

4- محمد، جمال سرور: المصدر السابق، ص143.

5- المقريزي: المواعظ، ج1، ص168-170.

6- البراوي: حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، القاهر،د.ط، 1948م، ص199.

إلى يعقوب بن كلس بالإشراف على الخراج في عهد المعز, صار ابن كلس يجبي خراج الدولة بالدينار المعزي, فانحطت قيمة الدينار الراضي, ومن ذلك يتضح كيف حملت الحكومة أهالي البلاد المصرية على التعامل بنقودها, وفي عهد الحاكم بأمر الله اصدر دراهم جديدة كل ثمانية عشر بدينار ومن المرجح إن ضرب الدراهم الفضية في ذلك العهد إنما أريد به تيسير التعامل في السلع القليلة الثمن وهكذا أصبحت مصر تتعامل بالدنانير الذهبية والدراهم الفضية[1].

رابعا: على المستوى الديني:

انتهج الجوهر الصقلي سياسة دينية تتفق مع ميول الفاطميين المذهبية، فقد ادرك فور دخوله الى مصر طبيعة المجتمع المصري ذي المذهب السني فرأى الا يثير السنيين في مساجدهم بشعائر المذهب الاسماعيلي وقرر بناء مسجد يكون رمزا للسيادة الدعوة الفاطميون فشرع في بناء الجامع الازهر في « سنة 23 جمادى الاولى 359هـ/24 آذار 975م »، وأنجز بناءه في مدة عامين تقريبا وأقيمت فيه الصلاة لأول مرة في« 7 رمضان 361هـ/22 حيزران 972م»[2].

وقد دعى هذا الجامع في بادئ الامر بجامع القاهرة، نسبة الى العاصمة الجديدة القاهرة، ثم أطلق عليه بعد ذلك جامع الازهر وذلك في عهد العزيز، على الارجح ولا يزال هذا الاسم متناولا الى يومنا هذان ولما دخلت مصر في تبعية الخلافة العباسية، بنا وليها الفضل بن صالح بن علي في عام « 169هـ/785م-786م » مسجد العسكر بجوار دار الإمارة، وقد ضل قائما حتى ازاله بدر الجمالي الوزير الفاطمي عندما هدم مدينة العسكر لتجميل مدينة القاهرة[3].

1- محمد، زغلول سلام: الأدب في العصر الفاطمي، منشأة المعارف الاسكندرية، ج2 ، ص150.

2- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي: المواعظ، ج4 ، ص52.

3- المقريزي: نفسه، ص37.

وبنى أحمد بن طولون في عام « 263هـ/877م » مسجده المعروف باسمه على جبل يشكر في الجهة الجنوبية من القاهرة الحالية والجهة الشمالية من العسكر[1]3، ولايزال هذا المسجد عامرا الى اليوم، وتعد هذه المساجد رمز لسيادة الاسلام الروحية، ومنبرا للدين الجديد.

كان جهور السقلي قد تعهد بوثيقة الامان التي منحها للمصريين أن يترك لهم الحرية الدينية وأن يجري الآذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقيام لياليه والحج والجهاد على أمر الله وكتابه وسنة نبيه واجراء أهل الذمة على ماكانوا عليه وأن يجري على المواريث مانص على الكتاب والسنة، لكنه لم يطبق على ماتعهد عليه الا لمدة قصير انتقالية[2].

بعد أن تعرف على طبيعة المجتمع المصري، بدأ باحداث تغيرات جوهرية أصابت صميم المجتمع مما اثار غضب المصريين فيما يتعلق بصوم رمضان وفطره والذي أصبح بعد دخول الفاطميين يتم بدون رؤية هلال رمضان وصلوا صلاة العيد بمصلى القاهرة فلم يرضى اهل مصر بذلك والواقع أن جوهر الصقلي أراد ان يفرض باسم المعز الفاطمي سلطته الدينية والدنيوية على كافة المسلمين على الرغم من تعارضها مع المبدأ التسامح الديني الذي تعهد باحترامه[3].

خامسا: على المستوى الثقافي والعلمي:

1-دور الأزهر في التدريس:

بعد أن استقر سلطان المعز لدين الله وتم بناء المعقل الذي أقامه للدعوة، أفرغ جهده في إحكام دولته وتنظيمها، وقطع المعز الفاطمي كل علاقاته بينه وبين الخليفة العباسي، وقضى على كل صلة روحية له في مصر، فاهتم بالتدريس في الأزهر على المذهب الفاطمي في الفقه، وتعاليم الشريعة في الدين والفلسفة والتوحيد واستجلب لهذه الدراسة أكبر العلماء والفقهاء في مصر وكان عددهم ثلاثون عالما، أجزل لهم العطاء وبنى لهم منازل فخمة ألحقت

1- المقريزي: نفسه، ص38.

2- الكندي، محمد بن يوسف: ولاة مصر وكتاب القضاة، مطبعة الآباء السيوعيين، بيروت، 1908م، ص584.

3- الكندي: المصدر السابق، ص185.

بالأزهر فيما بعد، وصارت أوقافه، وشرعوا يدرسون ويفقهون في مذاهب الفاطميين وتعاليمهم، وكان من أكبر علمائهم أبو يعقوب، قاضي الخندق، سبب من أسباب التي جعلت الأزهر يقبل عليه كل طالب من أقاصي الأرض[1].

2-دار الحكمة:

كانت دار الحكمة تنظم الدعوة في مصر ثم صارت مركز لنشر المذهب الفاطمي في مصر وبلاد الشام وبلاد الجزيرة وتخرج منها أعلام المذهب ومجتهدوا ودعاته الذين خدموا الفاطميين اجل خدمة وامدوا الخزانة الفاطمية بشتى الكتب الفقهية والعلمية[2]، التي تعزز مذهبهم وتؤيد خلافتهم، ومن الذين تولو دار الحكمة هو داعي الدعاة أبو ناصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران الشيرازي المعروف بلقب المؤيد في الدين، تولى الدار في خلافة المستنصر« 427-487هـ/1035-1094م »، وله ثمانمئة مجلس عقدها في دار الحكمة وهي تقع في ثمان مجلدات كبيرة تناول فيها موضوعات اسماعيلية شتى دينية وسياسية وأدبية وتأويلية وبجانب هذا فان الدار خدمت العلم خدمة تذكر كان يدرس فيها من النحو واللغة والطب والفلسفة والكيمياء وتخرج فيها اعلام الفكر في العصر الفاطمي.

3-دور المكتبات:

اهتم الخلفاء بتأسيس المكتبات العامة وجمعوا فيها الكتب العربية والفارسية والمترجمة عن اليونانية والفارسية، كما أنشؤوا المكتبات في المدارس والمساجد ولم يكن هذا غريبا لأن الاسلام حث على العلم ونشطت حركة التدوين والتأليف نشاط لم يعهده التاريخ الا في العصر الحاضر ونظرا لاهتمام المسلمين بالقرآن الكريم وتدوينه صنعوا النقاط وأشكال الحروف صنعا

1- محمد، عبد المنعم: المرجع السابق، ص31.

2- التميمي، حيدر قاسم: مرجع سابق، ص31.

للحن القرآن ووضعوا قواعد اللغة بازدهار حركة التأليف والترجمة، ظهر الاهتمام بالكتاب وازدهرت هذه المكتبات تبعا لتزياد أعداد الكتب وشغف الناس الشديد بالقراءة وكان من الطبيعي أن تؤدي هذه النهضة العلمية الى جمع الكتب والمؤلفات وتكوين المكتبات الخاصة ببعض الأفراد وكانت هناك مكتبات الخلفاء وكبار رجال الدولة[1].

4-علوم اللغة والنحو:

ازدهرت في مصر دراسات عربية في علوم اللغة والنحو ورواية الادب القديم وشرحه ونقده وكانت هذه العلوم تسير جنبا الى جنب مع غيرها من الدراسات التي أقبل عليها العلماء والمتعلمون في مصر، فقد نشطت بوقت مبكر نتيجة العناية بضبط القرآن الكريم[2]، وقراءاته[3]، ومنذ ان بدأ المسلمون بمصر يقرؤون القرآن الكرين عن الصحابة والتابعين وقد استمر تيار هذه الدراسات بمصر في العصر الفاطمي والعصور التي تلته، ومن الواضح أن الدولة الفاطمية قد أولت العناية باللغة العربية حيث اهتمت بدواوين الانشاء.

عرفت مصر في هذا العصر جماعة من العلماء اللغة والنحو مهم ابو عبد الله محمد بن جعفر التميمي المعروف بالفزاز النحوي، وعلي بن أحمد المهلبي.[4]

5-الشعر والشعراء:

اهتمت الدولة الفاطمية بالشعر والشعراء اهتماما فاق اهتمام الولاة والحكام السابقين في عهد الطولونيين والأخشيديين، حتى ان عدد الشعراء الذين قيل أنهم وقفوا على قبر أحد وزراءهم لرثائه وهو ابن كلس 100 شاعر.[5]

1- حسن، رشاد: الكتبات ورسالاتها، ط3، دار الفكر العربي، ص31.

2- التميمي، حيدر قاسم: مرجع سابق، ص33.

3- المقريزي: الخطط، ص88.

4- خفاجة، محمد بن عبد المنعم علي علي صبحي: المرجع السابق، ج1، 2012م، ص18.

5- حسن، رشاد: المرجع السابق، ص31

وشجع الخلفاء الفاطميين الشعر والشعراء لأن خلفائهم كانوا عربا يتذوقون الاخبار والشعر ويقولونه، وقد روية أشعار لمعضمهم، فكان انشاء الشعر بين أيديهم مظهرا من مظاهر العظمة التي كانوا حريصين عليها، كما كانوا يتخذون من الشعر وسيلة لدعاية ونشر مبادئهم والترويج لعقائدهم، أما الوزراء فكانوا يتشبهون بالخلفاء من حيث اهتمامهم بالشعر كمظهر من مظاهر الأبهة والجلال، وقد أحاطوا أنفسهم بطبقة من المثقفين الممتازين وجمع بلاط هؤلاء جماعة من الشعراء ابو الرمقمق أحمد بن محمد الانطاكي وتميم بن معد أبو علي تميم بن المعز لدين الله وعبد المحسن الصوري.[1]

6-الأدب والأدباء:

الأدب الفاطمي مثل بشتى صوره النثرية والشعرية صورة للحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والفنية، فهو يعطي صورة واضحة للاحداث وقد تنوعت بيئات الأدب في بلاد الدولة الفاطمية من المغرب الى المشرق، وكانت اهم بيئاته وأكثرها عطاءا ونشاطا القاهرة والقيروان وافريقية والشام وخاصة عواصمها دمشق وحلب والجزيرة والموصل والحجاز واليمن وكانت حاضرة الدولة في المغرب القيروان ومايتصل بها من المدن التي أنشئها الفاطميون كالمهدية والمنصورية مركز نشاط الأدبي والفكري في الدولة وأهم الأدباء في العصر الفاطمي أبو القاسم حسين بن علي وأبو سعد بن خلف وأبو القاسم على بن سليمان بن منجب بن الصريفي[2].

7-دور الوزراء في تنشيط الحركة الفكرية:

كان للوزراء الفاطميين دور كبير في تنشيط الحركة الفكرية وازدهار النهضة الثقافية حتى أصبحت مصر مسرحا لنشاط عقلي وأدبي، ولم يقتصر كثير من الوزراء على حبهم للعلم والأدب وتشجيعهم لأهله بل كان منهم من قام بالتأليف في مختلف أنواع العلم وفرض الشعر، فيعقوب بن كلس أول وزراء الدولة الفاطمية كان له كثير من المؤلفات فألف كتابا في القراءات وكتابا في علم الأبدان وآخر في الفقه الاسماعيلي وكتابا في آداب رسول الله، ولعل أهر كتبه

1- المقريزي: الخطط، ص197.

2- محمد، زغلول سلام: الأدب في العصر الفاطمي، منشأة المعارف الاسكندرية، ج2 ، ص245.

كتابه في محتصر الفقه وهو المعروف بالرسالة الوزيرية، وألف الوزير أبو شباع محمد بن الأشرف بن محمد علي بن خلف الذي تولى الوزارة في سنة « 457هـ/1065م »، كتاب مواد البيان في ترتيب الكتابة للدولة الفاطمية[1].

1- المقريزي: الخطط، ص23

الخاتمة

الخاتمة

نستنتج مما سبق أن ما بلغته الحضارة الإسلامية في العصر الفاطمي من تطور ونضج ورقي، هو بالأساس ناتج عن التنوع الاجتماعي، والتمازج الثقافي والتسامح الديني الذي بلغ أرقى مظاهره وصوره، وفي خاتمة هذه الدراسة يتعين علينا أن نشير إلى جملة من النتائج التي توصلتا إليها وحاولنا تقديمها على شكل نقاط:

- ترجع بداية ظهور الدعوة الإسماعيلية بالمغرب إلى منتصف القرن الثاني الهجري، وقد اختارت هذه الطائفة اليمن لتكون مركزا لدعوتها، وذلك لبعدها عن أنظار الدولة العباسية.
- هناك مجموعة من العوامل التي ساعدت على تغلغل الدعوة الشيعية في بلاد المغرب منها، الداعيين الشيعيين وقبيلة كتامة.
- يعتبر النسب الفاطمي من أعقد المشاكل التي شهدها التاريخ الإسلامي والتي أسالت حبر الكثير من المؤرخين، ويرجع السبب في ذلك إلى مبدأ التقية، وحياة الستر التي كان يعيشها الأئمة.
- إن تأسيس الدولة الفاطمية في افريقية، لم يكن مجرد تغيير في النظم المذهبية والسياسية أو الأسرة الحاكمة، إذ أضحت هذه البلاد مقر إمامة مذهبية خاصة ودولة سياسية شيعية وضعت حدا للوصاية الشرقية المباشرة، إذ لم تعد البلاد محكومة باسم دمشق أو بغداد.
- أتاح انهيار الدولة الأغلبية، للدولة الجديدة «الدولة الفاطمية» الناشئة أن تبسط سيطرتها على شمال افريقية باستثناء بعض الجيوب في المغرب الأقصى، وتهيمن على جزيرة صقلية، وتمتد بعد ذلك إلى المشرق الإسلامي في خطوة لا مفر منها للقضاء على العباسيين المتعصبين للسلطة من آل البيت استنادا إلى التعاليم الإسماعيلية.

- كانت أهداف الفاطميين واضحة منذ البداية، من خلال سياسة توسعية صريحة دفعتهم للاستيلاء على مصر والعبور منها إلى الشرق والانتشار في ربوع الشام والتطلع نحو العراق.

- إن السيطرة على بلاد الشام استغرقت وقتا طويلا، ولم تخلص لهم هذه البلاد التي قامت فيها الثورات باستمرار ضد الوجود الفاطمي، وقنع الفاطميون في النهاية، أن يتقاسموا نفوذهم مع البيزنطيين.

- نتج عن تركيز الفاطميين على الجانب الشرقي، إلى فقدانهم ممتلكاتهم في افريقية وصقلية، كما لم يلبثوا ان فقدوا ممتلكاتهم في بلاد الشام أمام ضغط السلاجقة والصليبيين، وانحصروا داخل مصر التي لم تلبث أن سقطت في أيدي أتابكة دمشق الزنكيين في صراع مع الصليبيين.

- ويبقى أن نذكر أن التاريخ الفاطمي، على الرغم مما اعتراه من زلات يبقى جزءا من التاريخ الإسلامي العام.

قائمة الفهارس

1- فهرس السور والآيات.
2- فهرس الأعلام.
3- فهرس الأماكن والمدن.
4- فهرس الأمم والأقوام.
5- فهرس الألقاب والوظائف الإدارية.

فهرس السور والآيات القرآنية

السور والآيات القرآنية برواية ورش	الصفحة
سورة إبراهيم، الآية (07)	48
سورة الأنعام، الآية (59)	42
سورة النساء، الآية (29)	35

1-فهرس الأعلام **الصفحة**

-أ-

- ابن الأثير. 13

-ج-

- جعفر الصادق. 9-10-11-15
- جعفر بن فلاح. 72-74
- جعفر حفيد محمد بن إسماعيل. 10-14-15
- جوهر الصقلي. 69-70-71-74-80

-ح-

- حباسة بن يوسف الكتاني. 61-62
- الحلواني. 11
- ابن حماد الصنهاجي. 13

-خ-

- ابن خلدون. 13

-ر-

- عبد الرحمان ناصر. 45
- ابن رائق. 67

-ز-

- أبي يزيد بن مخلد 40-24-23

-س-

- سليمان الخادم. 63
- أبو سفيان الحسن بن القاسم. 11

-ع-

- عبيد الله المهدي. 42-32-30-28-25-18-14-9
- ابن عذارى.
- علي بن أبي طالب. 79-74-59-17-13-9
- عمر بن عبد الله المرادي. 46
- عبد الجبار بن قيس المرادي. 47
- عمر بن الخطاب. 48

-ف-

- فاطمة الزهراء. 9-79

-ق-

- القاضي النعمان. 11-12-21-42
- القلقشندي. 51

-م-

- محمد بن اسماعيل. 14-15
- محمد بن طفج. 57-58-71
- المعز لدين الله الفاطمي. 31-33-42-49-54
- المقريزي. 51

2- الأماكن والمدن

-أ-

- أبلوق. 66
- الأريس. 12
- الإسكندرية. 61-62-64
- افريقيا. 11-20
- أوروبا. 27-48-49
- الاوراس. 46

-ب-

- باغاي. 36
- باجة. 44
- بحر الأحمر. 48-49
- بلاد المغرب. 9-11-14-27-34-35

-ت-

- تروجة. 66
- تلمسان. 36
- تيهرت. 36
- تونس. 44

-ج-

- الجيزة. 64

-ح-

- الحجاز. 64

-خ-

- الخلافة العباسية. 49-54-55

-ر-

- رقادة. 22-44

-ز-

- الزاب. 44

-س-

- سطيف. 36
- سلجماسة. 32-37
- سماتة. 12-36
- السودان. 27
- سوف جمار. 12

-ص-

- صنهاجة. 24-46

-ط-

- طبرية. 47
- طبنة. 36-46

-ع-

- العراق. 48

-ف-

- الفسطاط. 62-64-65-69

-ق-

- القاهرة. 78-80
- القرم. 64
- قسنطينة. 44
- قرطبة. 45
- القيروان. 29-30-31-36-41

-ك-

- كتامة. 9-12-22-23

-م-

- مجانة. 36-44
- مرجانة. 44
- مرماجة. 12
- المسيلة. 37
- مصر. 20-25-40
- المهدية. 45-46
- ميلة. 36-37
- ميلية الشلقان 69

-ن-

- الناضور. 12
- نفزاوة. 12
- نفطة. 12

-هـ-

- الهند. 75-51-48

3- الأمم والأقوام:

-أ-

- الأتراك. 60-55-15
- الاخشيدية. 57
- أرمن. 80

-ب-

- البربر. 80-54
- بنو بويه. 50
- بني العباس. 10

-د-

- الدروز. 16
- الدولة الفاطمية. 14-11-9

-ر-

روم. 80

-ز-

- زناتة. 24
- الزنتتيين. 45
- الزيريين. 46

-ع-

- عرب. 80

-ق-

- القرامطة. 16
- قبط. 80

-ك-

- الكافورية. 68-60

4- الألقاب والوظائف الإدارية:

-أ-

- أرباب السيوف. 76
- الإمامة. 74-17-15-10-9
- الأمراء. 54-29-26
- أمير الأمراء. 69

-خ-

- الخدام. 22
- الخليفة. 17

-د-

- دعاة. 41
- داعي الدعاة. 59-21-17
- ديوان. 23
- ديوان العطاء. 23

-ط-

- طبقة التجار. 29-26
- طبقة الجند. 23-22

-ف-

- الفراشون. 22

-ق-

- قضاة. 18
- قاضي القضاة. 18
- قوام. 22

-ك-

- كافور. 60-57-76

-م-

- المتوكل على الله. 55
- المشايخ. 23
- مشتول. 62

-و-

- الوالي. 61
- الوزارة. 17

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1 * القرآن الكريم:

2* قائمة المصادر:

1-**ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت 630هـ/1233م):** الكامل في التاريخ، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الافكار الدولية، عمان.

2-**الادريسي، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن حمود(ت 560هـ/1166م):** نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، ليدن، 1860م.

3-**الاسفرائيني، أبو المظفر طاهر بن محمد الشافعي (ت471هـ/1079م):** التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تح: كمال يوسف الحوت، ط1، دار عالم الكتب، بيروت، 1403هـ/1933م.

4-**البغدادي، عبد القهار أبي منصور بن الطاهر بن محمد(ت429هـ/1037م):** الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجيية منهم، تح: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د.ت.ط، 1988م.

5-**البكري، أبي عبيد الله (ت487هـ/1094م):** المغرب في ذكر بلاد افريقيا، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، د.ت.ط.

6-**ابن الثغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف:** النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، ج3.

7-**ابن حزم، أبو محمد علي ابن احمد بن سعيد الأندلسي (ت 456هـ/1064م):** جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

8-**ابن حلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ):** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج2.

9-**ابن حماد، أبي عبد الله بن محمد بن علي (ت 628هـ/1230م):** أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: تهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، د.ت.ط.

10- **ابن حوقل، أبي القاسم النصيبي(ت367هـ/977م):** صورة الارض، مكتبة الحياة، بيروت، 1996م.

11- **ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله:** المسالك والممالك، مطبعة بديل، ليدن، 1889م.

12- **الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت 463هـ/1071م):** تاريخ بغداد دار الكتب العلمية، بيروت، ج18.

13- **ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد(ت 808هـ/1405م):** مقدمة ابن خلدون، دط، دار الفكر، لبنان، 2001م، ج7.

14- ـــ: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، دار الفكر، بيروت، 1421هـ، 2000م.

15- **الداعي، ادريس عماد الدين (ت872هـ/1488م):** تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح: محمد اليعلاوي، ط1، دار المغرب الاسلامي، بيروت، 1985م، ج5.

16- **ابن سعيد، علي بن موسى المغربي:** المغرب في حلى المغرب، تح: زكي محمد حسن، القاهرة، 1953م.

17- **أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمان اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الدمشقي:** الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: ابراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1422هـ، 2002م،ج2.

18- **الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم أبي بكر(ت 548هـ/11053م):** الملل والنحل، تح: أمير علي مهنة وعلي حسن فاعور، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1993، ج1.

19- **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/923م):** تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، بيروت، 1967م.

20- **ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة كمال الدين:** زبدة الخلب من تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، 1996م، ج1.

21- **ابن العذاري، المراكشي:** البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تح: كولان وليفي بروفينسال، دار الثقافة،1980م.

22- **عماد الدين، إسماعيل بن علي بن محمود (أبو الفداء):** المختصر في أخبار البشر، ط1، الناشر المطبعة الحسينية المصرية،.

23- **القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي (ت 363هـ/9047م):** اتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسي للكتاب، تونس، 1986.

24- ــــــــــــــــــــــ: المجالس والمسايرات، تح: الحبيب الفقي وابراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي، ط1، دار النشر، بيروت، 1996م.

25- **القلقشندي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 821هـ/1413م):** صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار صادر، بيروت، 1915م.

26- **الكندي، محمد بن يوسف:** كتاب الولاة وكتاب القاضاة، مطبعة اليسوعيين، بيروت، 1908م.

27- **المالكي، أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله (ت 484هـ/1091م):** رياض النفوس في طبقات علماء القيروان، وزادهم وفضائلهم، تح: بشير الكبوش،ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1403هـ/1983م.

28- **المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (346هـ/957م):** مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الاندلس، بيروت، ج4.

29- **المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي تقي الدين(ت 846هـ/1442م):** المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تح: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418م، ج1.

30- **النوبختي، أبو محمد الحسين بن موسى والقمي سعيد بن عبد الله بن خلف الأشعري:** فرق الشيعة، تح: عبد المنعم الحنفي، ط1، دار الرشاد، مصر، 1992.

31- **النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/1333م):** نهاية الأرب في فنون الأدب، تح : حسن نصار وعبد العزيز الاهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983م، ج8.

32- **ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي(ت 626هـ/1229م):** معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، ج1،3،4،5.

3* المراجع:

1-**ابراهيم حسن، حسن:** تاريخ الفاطميون في مصر ,المطبعة الامرلية بالقاهرة ,1932.

2-**ابراهيم حسن، حسن:** عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعلية ومؤسس الفاطمية في بلاد المغرب

3-**أحمد مختار، العبادي:** في التاريخ العباسي الفاطمي، الاسكندرية،.

4-أحمد، مختار عمر: النشاط الثقافي في ليبيا، ط1، منشورات كلية التربية، طرابلس.

5-**أدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة:** عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة، 1940، ج2.

6-**أيمن، فؤاد سيد:** الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، ط1، القاهرة، 1992،

7-**بطرس، البستاني:** وسائل أخوان الصفا وخلان الوفاء، دار بيروت للطباعة والنشر، 1983، ج4.

8-**بوبة، مجاني:** من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، دار بهاء الدين، الجزائر، 2007م.

9-**جورجي، زيدان:** تاريخ التمدد الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967، ج1.

10- **جمال الدين، الشيال:** مجموعة الوثائق الفاطمية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرةن 2002م .

11- **جمال الدين، سرور:** مجموعة وثائق الفاطمية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 202

12- **حسن، ابراهيم حسن:** الفاطميون في مصر، الطبقة الأميرية، 1932،

13- **حسن، حضري أحمد:** علاقة الفاطميين بمصر بدول المغرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، .

14- **حسن، رشاد:** الكتبات ورسالاتها، ط3، دار الفكر العربي، ص31.

15- **الحنيفي، عبد المنعم:** موسوعة الفرق والماجاعات والمذاهب، ط1، مكتبة مداولي القاهرة، 1449م.

16- **خطيب، محمد بن أحمد:** الحركات الباطنية في الاسلام، مكتبة الاقصى، عمان،1984، .

17- **الدشراوي، فرحات: الخلافة الفاطمية في المغرب:** نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، المغرب، 1994.

18- **سعود، صلاح:** الشيعة النشاة السياسية والعقيدة الدينية، مكتبة النافذة، مصر، 2004م.

19- **سليمان، بن عبد الله السلومي:** أصول الإسماعيلية، ط1، دار الفضل، الرباط، 2001،.

20- **سمير، عبد الوهاب الحباشنة:** ديوان الانشاء الافاطمي وجهودة الكتابية، رسالة ماجستير جامعة مؤتة، الأردن، 2008م، ص4.

21- **السيد، عبد العزيز سالم:** تاريخ المغرب الاسلامي، ط2، مكتب دبولي، القاهرة.

22- **عبادي، أحمد مختار:** دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر.

23- **عبد الحليم، حاجيات:** كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، مطبعة الديوان، الجزائر، .

24- **عبد الرحمن، الجيلالي:** تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياء ، بيروت، 1965، ج1، .

25- **عبد الكريم، يوسف جودت:** الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال(ق3-4هـ/9-10م)، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر، بن عكنون، الجزائر.

26- **عبد الله، بن علي بن حماد:** أخبار ملوك بن عبيد وسيرتهم، دار الصحوة، القاهرة.

27- **عبد المنعم محمد، صبحي:** العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبين، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة.

28- **عبد المنعم، ماجد:** ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1994م.

29- **عويس، عبد الحليم:** دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م.

30- **العياشي، سامي:** الإسماعيلية في المرحلة القرمطية، دار ابن خلدون، سوريا، 1991.

31- **فركوس، صالح:** تاريخ الجزائر ماقبل التاريخ الى غاية الاستقلال، دار العلوم، العلوم، د.ت.

32- **فيروز، أبادي:** القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ج1، ص 12.

33- **قاضي الهمذاني، عبد الجبار:** تثبيت دلائل النبوة، تح: عبد الكريم ثمان، دار العربية للنشر والطباعة،بيروت، ج2،.

34- **لقبال، موسى:** الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.

35- **مبارك، بن محمد الميلي:** تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، .

36- **محجوب، عبد العزيز:** الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، دار سحنون للتوزيع والنشر.

37- **محمد ، بن محمد (اليماني):** سيرة الحاجب، جعفر، نشر وايف نوف مجلس كلية الأدب، الجامعة المصرية، القاهرة ، 1936، ج1.

38- **محمد جمال، سرور:** ظهور الدولة الفاطمية وسقوطها في مصر، دار الفكر العربي،

39- **محمد عبد الله، عنان:** الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ط3، دار الخناجةن القاهرة، 983م.

40- **محمد، بن زيتون:** القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط1، دار المنار، القاهرة، 1408هـ-1988م.

41- **محمد، زغلول سلام:** الأدب في العصر الفاطمي، منشأة المعارف الاسكندرية، ج2 .

42- **حساني، مختار:** الصراع بين الأمويين والفاطميين على السيادة في المغرب الإسلامي خلال القرن العاشر ميلادي الرابع هجري، رسالة لنيل الدراسات المعلقة، معهد العلوم الاجتماعية، دائرة الدراسات التاريخية والآثار، جامعة الجزائر،1977، 1978.

43- **المقدسي، شمس الدين:** أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

44- **مقلد، عبد الفتاح الغنيمي:** موسوعة الغرب العربي، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994، ج3،.

45- **موريس، لومبار:** الإسلام في مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1979م.

46- **يحيى بن سعيد، الانطاكي:** تاريخ الانطاكي، تح: عمر عبد السلام تدمري، جروس طرس، طرابلس، 1989م.

-الرسائل الجامعية:

- **الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية: رفيق بولاس**

وقد أفادتنا في معرفة الحياة الاجتماعية التي كان يعيشها سكان المغرب خلال الحكم الفاطمي جامعة منتوري – قسنطينة –.

- **الحياة الفكرية والثقافية في المغرب في العصر الفاطمي (296-362هـ)**: نشيدة رافعي، وقد استفدنا منها على التعرف على الحياة الفكرية والثقافية في المغرب في العصر الفاطمي جامعة اكلي اولحاج -البويرة-.
- **الحركة العلمية في مصر خلال العصر الفاطمي: خليل صفاء وسواحلية لطيفة**، وقد استفدنا منها على التعرف على الحركة العلمية التي انتشرت في مصر خلال العصر الفاطمي جامعة 8 ماي 1945-قالمة-.

- القواميس والموسوعات:

- الفهرست لابن النديم، استفدت منها لمعرفة الأماكن والمدن والأعلام.
- قاموس رد العامي إلى الفصيح: لأحمد رضا، وقد استفدت فيه في معرفة بعض الألفاظ المستخدمة في اللغة من الناحية التاريخية.
- القاموس المحيط: للفيروزي الأبادي، وقد استفدت فيه في التعريف ببعض الكلمات من خلال شرحها.

فهرس المحتويات:

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
الإهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي: لمحة تاريخية عن الدولة الفاطمية.	
المبحث الأول: نشأة الدعوة الاسماعيلية وانتشارها، وقيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب.	**09**
أولا: نشأة الدعوة الاسماعيلية.	**09**
ثانيا: قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب	**11**
المبحث الثاني: نسبها ومذهبها ونضامها وحكمها.	**13**
أولا: نسبها	**13**
ثانيا: مذهبها	**14**
ثالثا: نضام حكمها	**17**
المبحث الثالث: طبقات المجتمع في العهد الفاطمي	**20**
أولا: طبقة الخلفاء ورجال الدولة	**20**
ثانيا: طبقة الجند	**22**
ثالثا: طبقة التجار	**26**
رابعا: طبقة العامة	**28**
المبحث الرابع: المؤسسات الثقافية في بلاد المغرب العهد الفاطمي	**30**
أولا: المساجد	**30**

ثانيا: الكتاتيب	31
ثالثا: المكتبات	32
المبحث الخامس: اقتصاد الدولة الفاطمية ببلاد المغرب	34
أولا: الزراعة	34
ثانيا الصناعة	34
ثالثا: التجارة	35
رابعا: النقل	36
الفصل الأول: أسباب الانتقال الفاطمي من المغرب إلى المشرق	
المبحث الأول: أسباب داخلية	40
أولا: المقاومة السنية ضد الشيعة.	40
ثانيا: ثورات الخوارج والبربر.	43
المبحث الثاني: أسباب خارجية.	48
أولا: أهمية الموقع الجغرافي لبلاد الشام	48
ثانيا: القضاء على الخلافة العباسية	50
الفصل الثاني: مراحل انتقال الفاطميين من المغرب إلى المشرق	
المبحث الأول: أوضاع المشرق قبيل استيلاء الفاطميين على مصر	54
أولا: ضعف الدولة العباسية.	54
ثانيا: أوضاع مصر الداخلية	57
ثالثا: اوضاع مصر الخارجية	58
رابعا: تغلغل الدعوة الفاطمية في المجتمع المصري	59
المبحث الثاني: الحملات العسكرية على مصر.	61
أولا: حملة الجيش الفاطمي الاولى (301-302هـ/913-914)	61
ثانيا: حملة الجيش الفاطمي الثانية (306-309هـ/919-921م)	63

ثالثا: حملة الجيش الفاطمي الثالثة (323/943م)	**65**
رابعا: حملة الجيش الفاطمي الرابعة والأخيرة	**67**
المبحث الثالث: التوسع الفاطمي في بلاد الشام	**70**
أولا: الحملة الفاطمية على الرملة	**71**
ثانيا: حملة الفاطميين على دمشق	**71**
الفصل الثالث: نتائج الانتقال الفاطمي من المغرب إلى المشرق	
أولا: على المستوى السياسي.	**74**
ثانيا: على المستوى الاجتماعي.	**78**
ثالثا: على المستوى الاقتصادي.	**81**
رابعا: على المستوى الديني.	**86**
أولا: على المستوى الثقافي والعلمي.	**87**
الخاتمة	**92**
قائمة الفهارس	**94**
قائمة المصادر والمراجع	**105**